جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
العدد (2192) - السنة (55) ذو القعدة 1445هـ / 1 يونيو 2024م

العالم الإسلامي.. مقومات وفرص

الكويت 750 فلساً . السعودية 10 ريالات . البحرين دينار بحريني . قطر 10 ريالات . سلطنة عمان ريال عماني . الأردن 1.750 دينار أردني . لبنان 4500 ليرة . المغرب 23 درهماً
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

المنصات العربية

mugtama magazin

@mugtama

mujtamaa@gmail.com

@mugtama

@mugtamaa

@mugtama

@mugtamaa

English platforms

@almujtama_en

@AlMujtama_en

@almujtama_en

@almujtama_en

AR WWW.MUGTAMA.COM

EN WWW.EN.MUGTAMA.COM

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN00000000000000008881094

البريد الإلكتروني: **sales@mugtama.com**

العدد (2192) - السنة (55)

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

إسلامية أسبوعية
تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠ هـ - ٢٠٠٦/٩/٣ م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:
سالم القحطاني

مدير التحرير:
جمال الشرقاوي

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٣ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

في هذا العدد:

العالم الإسلامي.. مقومات وفرص

سمو الأمير: اضطراب المشهد السياسي في البلاد وصل إلى مرحلة لا يمكن السكوت عنها 6
فرص التكامل الإسلامي حاضرة في استثمار الثروات الطبيعية 12
التكامل الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي.. فرص وتحديات 14
التكافل والتراحم والتضامن.. مقومات أساسية للدولة المسلمة 18
التجارب الحضارية الإسلامية الناجحة تاريخياً.. هل تتكرر؟! 22
المشروع الإسلامي.. مقومات وفرص 26
مظاهر ضعف الأمة وسبل معالجتها في ضوء التحديات المعاصرة 32
قرصان أمريكي يعترف: هكذا أسقطنا العالم النامي في دوامات الفشل! 36
الصهاينة يدمرون المنظومة التعليمية في قطاع غزة 38
كاريكاتير المجتمع 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾

سورة آل عمران

رأي المجتمع

العالم الإسلامي.. مقومات وفرص

يتمتع العالم الإسلامي بمقومات كبيرة لا تتجمع في كيان آخر، بداية من العامل العقدي، الذي يمثل الرابطة والوشيجة الإيمانية بين كل المسلمين في أنحاء العالم، ورابطة الوحدة المشتركة بين أفراد الدين الواحد، ومروراً بتنوع جغرافي وبيئي واسع، وثروات بشرية وطبيعية بلا منافس في العالم، ويجمعه قواسم مشتركة؛ ديناً وتاريخاً وحضارة، ويمتلك مقومات اقتصادية هائلة.

وتمتد أراضيه لتشمل ٥٧ دولة إسلامية هم أعضاء منظمة التعاون الإسلامي، في ٤ قارات من العالم، من ألبانيا في شمال أوروبا إلى موزمبيق في جنوب أفريقيا، ومن إندونيسيا في شرق آسيا إلى غويانا في غرب أمريكا اللاتينية، بمساحة تصل إلى سدس مساحة العالم، و٢٨% من مساحة اليابسة، وتطل دوله على أهم المواقع العالمية من بحار ومحيطات ومضايق بحرية، وأيضاً لديها أنهار عديدة، وهناك تواصل رَحِمي بين سكان هذه الدول التي فصلتها أيادي «الاستخراب» بالحدود المصطنعة الوهمية.

ومن المقومات أيضاً التاريخ والتراث المشترك، فالأمة الإسلامية لها تاريخ وتراث اشتركت فيهما كل القوميات الموجودة في العالم الإسلامي؛ فبنَوا صرح الحضارة الإسلامية متعاونين متكاتفين.

ويتسم العالم الإسلامي بتنوعه الثقافي الهائل، حيث يعيش فيه حوالي ملياري نسمة، من مختلف الثقافات واللغات، وهذا التنوع يعزز التفاهم والتعاون بين الشعوب ويسهم في تبادل الخبرات والمعرفة.

علاوة على المقومات الفكرية التي منطلقها الدين الإسلامي الذي يحث على التكامل والشمولية وتوحيد الأمة والأخوة الإسلامية.

وفي ظل عالم لا يعترف بالكيانات الصغيرة الضعيفة، فإن الوحدة الاقتصادية والسياسية والعسكرية، بين دول العالم الإسلامي، صارت ضرورة ملحة، وأمراً لا غنى عنه من أجل مواجهة طوفان العولمة الجارف حيث البقاء فيه للأقوى، ومن أجل مواجهة الأعداء الذين تكالبوا على الأمة، وحرب الإبادة في غزة العزة خير شاهد.■

وكلاء التوزيع

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : ٢٢٢٧٢٧٣٣ ف: ٢٢٢٧٢٧٣٦
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض
٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩
فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩
قطر :
دار الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت :٧٢٥١١١ / ف : ٧٢٣٧٦٣
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM

الإعلانات

امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

حل مجلس الأمة ووقف بعض مواد الدستور لمدة لا تزيد على 4 سنوات..

سمو الأمير: اضطراب المشهد السياسي في البلاد وصل إلى مرحلة لا يمكن السكوت عنها

أمر سمو أمير البلاد الشيخ مشعل الأحمد، حفظه الله ورعاه، بحل مجلس الأمة ووقف بعض مواد الدستور لمدة لا تزيد على ٤ سنوات.

وقال سمو الأمير في خطاب بثه «تلفزيون الكويت»: «هنالك إساءة بالغة في أسلوب الخطاب الذي لا يتفق مع عادات وتقاليد أهل الكويت»، وأكد أن اضطراب المشهد السياسي في البلاد وصل إلى مرحلة لا يمكن السكوت عنها.

جاء ذلك في خطاب ألقاه سموه، حفظه الله، فيما يلي نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم..

الحمد لله جل في علاه.. خلق الإنسان واجتباه.. وإلى السعي والعمل دعاه.. والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

يقول الله جل علاه في كتابه الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦) صدق الله العظيم.

أبناء وطني الكرام..

مرت الكويت خلال الفترة الماضية بأوقات صعبة كان لها انعكاساتها على جميع الأصعدة؛ مما خلق واقعاً سلبياً وجب علينا كمؤتمنين على هذه الدولة وشعبها الوفي أن نقدم النصح تلو النصح والإرشاد تلو الإرشاد؛ لنخرج من هذه الظروف بأقل الخسائر الممكنة، ولكن مع الأسف واجهنا من المصاعب والعراقيل ما لا يمكن تصوره أو تحمله، وسعى البعض جاهداً إلى غلق كل منفذ حاولنا الولوج منه لتجاوز واقعنا المرير مما لا يترك لنا مجالاً للتردد أو التمهل لاتخاذ القرار الصعب؛ إنقاذاً لهذا البلد وتأميناً لمصالحه العليا والمحافظة على مقدرات الشعب الوفي الذي يستحق كل تقدير واحترام.

شعب وطني الكريم..

إن ديمقراطية الحكم كأسلوب حياة وعمل تفرض قدراً واسعاً من تنظيم السلطات العامة وتوزيع أدوارها ضمن رؤية واضحة تحقق الهدف منها، وهذه الرؤية تفرض العديد من الضوابط على السلطتين التشريعية والتنفيذية لضمان تقيدها بأحكامه.

هي ضوابط آمرة لا تبديل فيها ولا مهرب منها، وليس لأي جهة أو سلطة أن تبغي عنها حولاً أو تنتقدها من أطرافها أو تسعى للتحلل منها، بل هي باقية نافذة لتفرض كلمة الدستور على المخاطبين بها، ولتكون قواعده ملجأ لكل سلطة وضابطاً لحركتها وتصرفاتها على اختلافها ومرتكزاً لتوجيهاتها.

لقد لمسنا خلال الفترات السابقة، بل وحتى قبل أيام قليلة، سلوكاً وتصرفات جاءت على خلاف الحقائق الدستورية الثابتة.

فهناك من هدد وتوعد بتقديم الاستجواب لمجرد أن يعود أحد الوزراء إلى حقيبته، وآخر اعترض على ترشيح البعض الآخر، متناسين جهلاً أو عمداً أن اختيار رئيس الحكومة وأعضائها حق دستوري خالص لرئيس الدولة، ولا يجوز لأحد اقتحام أسواره أو الاقتراب من حدوده أو التدخل في ثناياه.

بل وصل التمادي إلى حدود لا يمكن القبول بها أو السكوت عنها لما تشكله من هدم للقيم الدستورية وإهدار للمبادئ

الديمقراطية التي ارتضيناها جميعاً طريقاً هادياً لتحقيق المصلحة العامة، فنجد البعض مع الأسف الشديد يصل تماديه إلى التدخل في صميم اختصاصات الأمير، ويتدخل في اختياره لولي عهده، متناسياً أن هذا حق دستوري صريح وواضح وجلي للأمير، ومتى ما زكى الأمير أحدهم لولاية العهد يأتي دور السلطات الأخرى كما رسم لها الدستور اختصاصها وليس قبل ذلك بأي حال من الأحوال.

ولا بد أن أشير كذلك إلى أن مصادر الثروة الوطنية لا يجوز التفريط فيها أو استخدامها على وجه يستنزف مواردها ويعطل مصالح الأمة عن طريق اقتراحات تهدر المال العام ولا تحقق الصالح العام، وإنما يجب أن تعمل هذه الاقتراحات في خدمة الاقتصاد الوطني وفي إطار خطة التنمية.

يا أهل الكويت الكرام، إن الجو غير السليم الذي عاشته الكويت في السنوات السابقة شجع على انتشار الفساد ليصل إلى أغلب مرافق الدولة، بل ووصل إلى المؤسسات الأمنية والاقتصادية مع الأسف، بل ونال حتى من مرفق العدالة الذي هو ملاذ الناس لصون حقوقهم وحرياتهم ليبقى دائماً مشعلاً للنور وحامياً للحقوق وراعياً للحريات، ونحن على يقين تام أن القضاء قادر بإذن الله تعالى على تطهير نفسه على يد رجاله المخلصين وتوفيق من الله تعالى لهم في مهمتهم النبيلة هذه.

ويجب أن يعلم الجميع أن لا أحد فوق القانون، فمن نال من المال العام دون وجه حق سوف ينال عقابه أياً كان موقعه أو صفته، لن أسمح على الإطلاق أن تستغل الديمقراطية لتحطيم الدولة؛ لأن مصالح أهل الكويت التي هي فوق الجميع أمانة في أعناقنا علينا واجب صونها وحمايتها.

وكما حرص حكامنا السابقون على تثبيت دعائمها وسلموا رايتها لنا، فسيكون همنا وواجبنا كذلك أن نسلم راية الديمقراطية إلى

د. خالد المذكور: الالتفاف حول القيادة السياسية واجب شرعي والتزام وطني

وجه الشيخ د. خالد مذكور المذكور، رئيس مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي، كلمة في افتتاح الجمعية العمومية في عامها الـ٦٠، مخاطباً أعضاء الجمعية، أكد فيها ضرورة الالتفاف حول قيادة صاحب السمو الشيخ مشعل الأحمد الصباح، حفظه الله ورعاه، وأنها واجب شرعي والتزام وطني.

وجاء في الكلمة:

بسم الله الرحمن الرحيم..

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

تمر البلاد هذه الأيام بظروف تستوجب الالتفاف حول قيادة صاحب السمو الأمير الشيخ مشعل الأحمد الصباح، حفظه الله ورعاه، لما فيه صالح الوطن والمواطنين، وهو واجب شرعي والتزام وطني.

وندعو الله سبحانه وتعالى أن يديم على بلدنا الاستقرار والأمن والأمان والرفاه، وأن يلبس صاحب السمو ثوب الصحة والعافية.

إخواني أعضاء الجمعية المحترمين..

إن نظرة فاحصة إلى أحوال بعض المجتمعات التي عصفت فيها الفتن والفرقة والخلافات، وأصبحت ساحات تعبث فيها أيادي التحريض والتأليب، لتدعونا لتحمل مسؤوليتنا المجتمعية والدعوة إلى الحفاظ على استقرار البلد وأمنه وتماسكه ووحدته الوطنية، بعيداً عن كل ما يثير الفتن ويضر بالاستقرار.

نحن على ثقة تامة بحرص صاحب السمو الأمير، حفظه الله ورعاه، على الوطن والمواطنين، والحفاظ على مكتسبات البلد التاريخية التي حافظ عليها الأجداد والمؤسسون الأوائل الذين سعوا لحفظ أمنه وهويته واقتصاده ودستوره ووحدته.

ونحن إذ نشد على يد حضرة صاحب السمو، حفظه الله ورعاه، بالنهوض بوطننا العزيز وأدواره ومسؤولياته تجاه انتمائنا العربي والإسلامي، ولا سيما دور الكويت التاريخي في العمل الإنساني عامة والقضية الفلسطينية خاصة، ولا سيما الحرب الدائرة من العدو الصهيوني على أهلنا في غزة وفي القدس والضفة الغربية.

حفظ الله تعالى الكويت وأميرها وشعبها من كل مكروه، وحماها من الفتن ما ظهر منها وما بطن.■

من يأتي من بعدنا خفاقة عالية في سمائنا.

ولا يفوتني أن أشير كذلك إلى تصرفات بعض الحكومات التي مررت مخالفات وتجاوزات جسيمة نتيجة للضغط النيابي أو اجتهادات غير موفقة أو مدروسة؛ ما انعكس سلباً على المصلحة العامة حتى وجدنا من أدين بالخيانة حراً طليقاً نتيجة لهذه الممارسات غير المقبولة.

ولن أسمح على الإطلاق أن يتكرر ذلك تحت أي ظرف من الظروف.

كما لا بد أن أوضح بشكل لا لبس فيه أو غموض أن الأمن مسألة في غاية الأهمية، وسوف نولي جل اهتمامنا لتحقيق هذه الغاية، فنعيد النظر في قوانين الأمن الاجتماعي أولاً.

فمن دخل البلاد على حين غفلة وتدثر في عباءة جنسيتها بغير حق ومن انتحل نسباً غير نسبه أو من يحمل ازدواجاً في الجنسية أو وسوست له نفسه أن يسلك طريق التزوير للحصول عليها واستفاد من خيرات البلاد دون حق وحرم من يستحقها من أهل الكويت.

فكل هذه الظواهر السلبية لن تبقى وسوف يعاد النظر فيها وفقاً لخطوات مدروسة متأنية يتولاها رجال ثقات من أهل الكويت.

تحية عطرة لرجال الأمن الذين يسهرون على حماية مصالح الشعب، ويحملون على أكتافهم صون الأمن في بلدنا، ولكي ينام المواطن قرير العين وهو يعلم أن هناك من يسهر على أمنه وحريته.

ودعوني أقولها لكم بكل صراحة أن احترام رجال الأمن هو من احترام نظام الحكم، ولن أسمح على الإطلاق المساس بهيبتهم واحترامهم أثناء أدائهم لواجباتهم الرسمية.

فالدولة تقوم على دعامتين أساسيتين الأمن والقضاء.

أبناء وطني الكرام..

لقد حرص أهل الكويت المؤسسون للديمقراطية على إيجاد دستور يخدم مصالح الأمة ويرعى حقوق وحريات الشعب، ولم نجد منهم في مناقشاتهم في المجلس التأسيسي أو في المجالس التي تلت ذلك إلا قمة الاحترام في الخطاب والرقي في ممارسات الوسائل الدستورية المتاحة لهم في مكانها السليم أو زمانها الصحيح، ولكننا نرصد الآن عكس كل ذلك؛ فهنالك إساءة بالغة في استخدام هذه الوسائل وفي أسلوب الخطاب الذي لا يتفق مع عادات وتقاليد أهل الكويت الطيبين الأصليين، وغدت قاعة عبدالله السالم بدلاً من أن تكون مكاناً لممارسة ديمقراطية حقيقية سليمة، أصبحت مسرحاً لكل ما هو غير مألوف وغير مستحب أو مقبول من الألفاظ والعبارات.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعدى إلى الإفراط في استخدام حق الاستجواب في كل صغيرة وكبيرة، مما أهدر القيمة الحقيقية لهذا الحق بوصفه أداة راقية للمساءلة والمحاسبة وليس وسيلة للابتزاز والتهديد أو طريقاً للحصول على مكاسب أو منافع شخصية، فليس لهذه الأغراض أقر الدستور أداة الاستجواب، وإنما نص عليها لتكون وسيلة للإصلاح وتقويم الاعوجاج إن وُجد، وبغير ذلك تفقد هذه الأداة الراقية قيمتها ودوافع تقريرها.

ومن الواجب علينا أن نعلن رفضنا لكل هذه الممارسات، وأن نضع حلاً لها بما ينهيها ليعود لقاعة عبدالله السالم بهاؤها، ورمزاً للديمقراطية المعبرة عن شعور أهل الكويت والمتفق مع عاداتها وتقاليدها الأصيلة التي تقدر وتحترم الكبير وتستمع لوجهات النظر الأخرى، لا أن تكون ساحة لمعارك كلامية غير مقبولة أو ممارسات غير دستورية خارجة عن نطاق المنطق والعقل.

إخواني وأخواتي أهل الكويت الطيبين..

اضطراب المشهد السياسي في البلاد وصل إلى مرحلة لا يمكنني السكوت عنه.

إن الواجب يفرض علينا أن نبادر إلى اتخاذ جميع الوسائل الضرورية لتحقيق المصلحة العليا للبلاد.

وأشير هنا إلى ما حدث خلال الأيام القليلة الماضية، فبعد تعيين رئيس مجلس الوزراء وتكليفه بتشكيل الحكومة، تم التواصل مع عدد من أعضاء مجلس الأمة لتأمين مشاركة البعض منهم في تشكيل الحكومة امتثالاً والتزاماً بأحكام المادة (٥٦) من الدستور، ومع ذلك وحرصاً على إتاحة كل الوقت الممكن لتشكيل الحكومة رغم كل العراقيل التي وضعت، فقد أصدرنا المرسوم رقم (٦٧) لسنة ٢٠٢٤ بتأجيل اجتماعات مجلس الأمة لدور الانعقاد الأول للفصل التشريعي الثامن عشر إلى يوم الثلاثاء الموافق ١٤ مايو ٢٠٢٤م، إعمالاً لنص المادة (١٠٦) من الدستور إيذاناً لبدء مرحلة جديدة من التعاون الإيجابي بين السلطتين التنفيذية والتشريعية والعمل المشترك لتحقيق الإصلاح المنشود والإنجاز المأمول، تلبية لطموحات وآمال المواطنين الذين يتطلعون لغد أفضل ومستقبل أكثر إشراقاً.

إلا أن كل المحاولات باءت بالفشل لوجود تداعيات أسفرت عن عدم استكمال تشكيل الحكومة في ظل ما صدر من عدد من أعضاء المجلس من تباين تجاه الدخول في التشكيل الحكومي، ما بين إملاءات وشروط البعض للدخول فيها، حيث اشترط بعضهم شغل حقائب معينة بأعداد لا يمكن قبولها، كما فرض بعضهم أسماء محددة، مما وضعنا أمام موقف دستوري لا بد من العمل على معالجة أسبابه والحيلولة دون تكرارها في المستقبل حرصاً على مصالح البلاد والعباد.

أبناء وطني الكرام..

إن الدستور بوصفه وثيقة تقدمية تستجيب لمتطلبات الحياة ومتغيراتها يجد متنفسه بانسجامه مع الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية والأخلاقية السائدة في المجتمع، لا بد له من التوافق مع الظروف المستجدة في قدرته على استيعابها ليكون منفذاً له في الاستمرار كأداة تحكم واقع المجتمع وتكويناته، فإذا ما أغلقت كل المنافذ في وجهه، فلا يمكن له القيام بدوره المنشود كما يرتضيه الشعب وقيادته ويصبح من الواجب التدخل وقبل فوات الأوان لتصحيح المسيرة ومعالجة الاعوجاج وسد النواقص التي كشف عنها التطبيق العملي لنصوصه طوال ٦٢ عاماً الماضية دون تعديل.

لا سيما وأن المسار التاريخي الذي استمد منه الدستور الكويتي مواده وأحكامه إما أن ألغيت تماماً أو شهدت تعديلات عديدة على نصوصها لتستجيب للمتغيرات التي حدثت في تلك المجتمعات، علماً بأن الدستور الكويتي سمح بتعديله وإعادة النظر في أحكامه بعد مرور ٥ سنوات من العمل به مما يدل على حصافة أعضاء المجلس التأسيسي وبعد نظرهم.. فكيف يجمد تعديل الدستور وهو يسمح بإعادة النظر بأحكامه؟

ولأجل تحقيق هذا الهدف في وقف الانحدار والحيلولة من أن نصل إلى مرحلة الانهيار؛ لذلك أمرنا بالآتي:

حل مجلس الأمة ووقف بعض مواد الدستور لمدة لا تزيد على أربع سنوات يتم خلالها دراسة جميع جوانب المسيرة الديمقراطية ورفع نتائج الدراسة والمراجعة لنا.. لاتخاذ ما نراه مناسباً.

تحية صادقة من القلب للآباء المؤسسين الذين أرسوا قواعد المحبة والإخاء في نفوس أفراد المجتمع على اختلاف تكويناته من موظفين عامين وتجار عاملين لخدمة الوطن ورقيه، وندعو أبناءنا إلى الاقتداء بما جُبل عليه آباؤهم من رقي في التعامل والتصرفات ليسود الانسجام بين الجميع.

وأخيراً.. الله ندعو في علاه أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه، وأن يسدد خطى أبناء وطننا العزيز لتقدمه ورخائه، وأن يديم دولة الكويت واحة أمن وأمان ومنبع خير وسلام ويحفظ أهلنا الأوفياء أعزة كرام.

اللهم نوّر بالحكمة قلوبنا، وأيّد بالتوفيق طريقنا، واحفظ الكويت وشعبها وارحم شهداءها وموتاها وموتى المسلمين، وشافِ مرضانا ومرضاهم، إنك سميع عليم.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، حفظكم الله ورعاكم وبنور الحق هداكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».■

جمـــان بلاك
Jumaan Black
عـطـر مـركـــز Concentrated Perfume Oil
18ML
عطر مركز تفوح منه رائحة الورد والمسك

الشايع
SINCE 1928 منذ
الشـــايـــع للعطـــور
AL SHAYA PERFUMES
www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

اتحاد الجمعيات والمبرات الخيرية يدين بشدة محرقة الخيام في رفح..

العتيبي: على المجتمع الدولي التحرك الفوري لإنهاء الحصار على قطاع غزة

أدان اتحاد الجمعيات والمبرات الخيرية في الكويت بشدة الأحداث الأخيرة التي شهدتها مدينة رفح جنوب قطاع غزة، حيث ارتكب جيش الاحتلال الصهيوني مجزرة وحشية أطلق عليها «محرقة الخيام» في منطقة صنفها سابقًا كمناطق آمنة، وهذه المجزرة أسفرت عن استشهاد ٤٠ مدنيًا وإصابة ٦٥ آخرين بجروح متفاوتة.

وفي هذا الصدد، قال رئيس اتحاد الجمعيات والمبرات الخيرية سعد مرزوق العتيبي: إن المجزرة التي وقعت في خيام النازحين شمال غرب رفح تُظهر تصعيدًا خطيرًا في استهداف المدنيين الأبرياء، مما يُعتبر انتهاكًا صارخًا لكافة القوانين الإنسانية والدولية، مشيراً إلى أن السكان في هذه المناطق يواجهون تحديات هائلة، بما في ذلك نقص الوقود وشح المياه وتدمير الطرقات والبنية التحتية؛ مما يعيق بشكل كبير عمليات التحرك بمركبات الدفاع المدني والإغاثة في المناطق المستهدفة.

وتابع العتيبي: في ظل هذه الظروف القاسية، يؤكد اتحاد الجمعيات والمبرات الخيرية أهمية فتح المعابر لتدفق المساعدات الإنسانية بشكل فوري ودون قيد أو شرط، مؤكداً أن تدفق المساعدات ضروري لتخفيف معاناة المدنيين وتوفير الاحتياجات الأساسية من الغذاء والماء والدواء لهم.

ودعا العتيبي المجتمع الإنساني والدولي للوقوف على مسؤولياته والضغط لوقف العدوان «الإسرائيلي» بشكل كامل، كما شدد على ضرورة توفير الحياة الكريمة للمدنيين في قطاع غزة، الذين يعانون من الحصار المستمر والهجمات المتكررة.

وأوضح العتيبي أن الأخبار القادمة من رفح محزنة ومروعة، حيث كثف الكيان الصهيوني هجماته على المدينة بعد صدور قرار من محكمة العدل الدولية بوقف العمليات العسكرية، وهذا التصعيد يتطلب تحركًا عاجلًا من المجتمع الدولي لحماية المدنيين ووضع حد لهذه الانتهاكات الجسيمة.

وبين العتيبي أن الأزمة الإنسانية تعمّقت داخل قطاع غزة مع استمرار احتلال معبر رفح وإغلاقه أمام دخول شاحنات المساعدات، إضافة إلى إعاقة دخولها من معبر كرم أبو سالم، وهذا الحصار المطبق يزيد من تفاقم الوضع الإنساني ويحول دون وصول الإغاثة إلى المحتاجين.

وبين العتيبي أن الاتحاد سيواصل جهوده الداعمة للأوضاع في غزة من خلال التنسيق والتعاون مع الجمعيات والمبرات والمؤسسات الخيرية في الكويت لاحتواء الأزمة الإنسانية المتفاقمة وتخفيف معاناة الأشقاء الفلسطينيين جراء عدوان قوات الاحتلال الصهيوني، مؤكداً تكامل جهود الاتحاد مع الجمعيات الخيرية والمبرات والمؤسسات الخيرية في دعم قضية غزة وتخفيف معاناة أهلها، مشيراً إلى أن التنسيق المشترك يعتبر وسيلة فعالة لتقديم الدعم والمساعدة للسكان في غزة في مواجهة هذه الأزمة الإنسانية.

وأكد العتيبي أن الكويت؛ حكومة وشعبًا، ستظل ملتزمة بدعم الشعب الفلسطيني، وتقديم كل ما يمكن من مساعدات إنسانية وإغاثية، تحقيقًا للرسالة النبيلة التي تسعى لتحقيقها وفق توجيهات حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ مشعل الأحمد الجابر الصباح، مبيناً أن العمل الإنساني واجب ديني وأخلاقي، والكويت ستظل دائمًا في طليعة الدول الداعمة للقضايا العادلة والإنسانية في العالم.

وقال العتيبي: إلى جانب الجهود الخيرية، تؤدي وزارة الخارجية الكويتية دورًا بارزًا في تسهيل إيصال المساعدات الإنسانية إلى غزة، حيث تقوم بالتنسيق مع المنظمات الدولية والجهات المانحة لضمان وصول المساعدات إلى مستحقيها في أسرع وقت ممكن، كما تسعى الوزارة إلى حشد الدعم الدولي للقضية الفلسطينية من خلال المواقف الدبلوماسية الحازمة والتواصل المستمر مع المجتمع الدولي.

وناشد العتيبي مجلس التعاون الخليجي، وجامعة الدول العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي لتعزيز مبادراتها الإنسانية، وتكثيف مساعيها الدبلوماسية لفتح المعابر وتسهيل دخول المساعدات الإنسانية دون قيود.

واختتم العتيبي تصريحه بدعوة جميع الجهات الدولية والإنسانية إلى التحرك الفوري لإنهاء الحصار على قطاع غزة، وضمان تدفق المساعدات الإنسانية بشكل مستمر، وتوفير الحماية للمدنيين، ووضع حد لمعاناتهم اليومية.■

أنتم في قلوبنا..
خالد حمد صالح الجيران..
المؤمن الرباني

كتب ـ عادل العصفـــور:

كان خالد حمد صالح الجيران عضو مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي لسنوات عديدة - يرحمه الله- يتمتع بالكثير من الخصال الطيبة، وكانت طبيعته الهادئة الرزينة، وسمته الإيماني، وكرمه، وشهامته، من أبرز صفاته.

نشأته

ولد خالد حمد صالح الجيران في ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ/ ٤ أبريل ١٩٥١م بمنطقة شرق، وله سبع بنات وولدان.

الدراسة

درس الابتدائية في مدارس شرق، والتحق بمعهد المعلمين ثم أكمل دراسته في جامعة الكويت.

العمل والمناصب

بعد تخرجه في جامعة الكويت، عُيِّنَ مدرساً في مدرسة عمرو بن العاص بمنطقة الروضة، ثم ثانوية بيان في منطقة بيان، ثم عمل في وزارة الأوقاف، وتدرج بها حتى عُين مديراً لإدارة المساجد، ثم تقاعد والتحق في لجنة مدارس النجاة الخيرية، ثم انتخب عضواً في مجلس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت عام ١٩٩٥م واستمر فيها حتى وفاته.

بره بوالدته

كان كثير البر بأمه، وكان يبالغ في توقيرها والاستماع إليها، وكان يبر صديقاتها، ويأتي بالأمور التي يحببنها، ويقضي وقتاً طويلاً معها، كان لا يسافر مكاناً قريباً ولا بعيداً إلا ويصحبها معه، حتى وإن كان مع أسرته، وكان دائماً يتتبع ما ترغب فيلبيه لها.

أبرز صفاته

كان له الكثير من الخصال الطيبة، وكانت طبيعته الهادئة الرزينة، وسمته الإيماني وما يتبعها من صفات هي الغالبة على صفاته، ومن هذه الصفات:

- الربانية: كان إذا صلى الفجر يمكث في المسجد يذكر الله تعالى ويقرأ القرآن حتى الشروق، وإذا صلى العصر يمكث في المسجد ويقرأ القرآن، ويستيقظ أغلب الليالي قبل الفجر، ويصلي ما كتب الله له حتى أذان الفجر، وكان لا يترك صيام الإثنين والخميس والأيام البيض.

- الكرم: اكتشف أهله بعد وفاته أنه كان له صدقات جارية لبعض خالاته، وقد اتصل الكثير من الناس بعد وفاته وأفصحوا عما كان يخفيه عن أهله وأقرب الناس إليه، وهو مساعدته ورعايته وكفالته لأعداد كبيرة من هؤلاء المحتاجين.

- حبه لمساعدة الآخرين: كان مولعاً بمساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم، فما يطلبه أحد شيئاً إلا قضاه له[1].

من أقواله

أخي الحبيب، كن أقوى من المعوقات تتجاوزها، ولا تكن أضعف منها فتسقطك، واحذر العثرات وانهض بعد الكبوات، فإن أمد المفارقة إن زاد وطال صعب على النفوس الرجوع، ولك في قلبي مكانة ومحبة ومعزة خاصة لن تتأثر[2].

وفاته

وفي يوم وفاته صلى الظهر في المسجد، وإذا بشاب يخبره برؤيا يظهر فيها -خالد الجيران- وهو معمم بعمامة خضراء مكتوب عليها «الله أكبر»، وهو على تل أخضر وأمامه سهل يعج بالحياة والجمال، فتبسم مستبشراً مما سمع وذهب مع أهله إلى الشاليه وصلى العصر ثم تناول الغداء وطلب من الجميع مشاركته في السباحة، وجاء قدر الله فغرق وتوفي شهيداً إن شاء الله كما جاء في الحديث: عنْ أبي هُرَيْرَةَ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الشُّهَدَاءُ خَمسَةٌ: المَطعُونُ، وَالمَبْطُونُ، والغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ وَالشَّهِيدُ في سبيلِ اللَّهِ» (متفقٌ عليه).

توفي في ٥ رجب ١٤٣٠هـ/ ٢٨ يونيو ٢٠٠٩م.■

المصادر

(١) منقول من كتاب «الوفاء الصراح لتراجم رجال الإصلاح»، المجموعة الأولى.

(٢) من كتاب «الدر والجمان»، للمؤلف د. خالد مال الله.

في ظل تنوع جغرافي وبيئي واسع، وثروات طبيعية بلا منافس في العالم، ينادي خبراء بإحياء مساعي التكامل الإسلامي، مؤكدين أن دول العالم الإسلامي قادرة على التكامل الاقتصادي متى بدأت الوحدة.

وسط تنوع جغرافي وبيئي..
فرص التكامل الإسلامي حاضرة في استثمار الثروات الطبيعية

تحقيق – حسن القباني:

في البداية، يؤكد خبير الاقتصاد الدولي، وكيل وزارة التجارة والصناعة للبحوث الاقتصادية المصرية الأسبق، **د. عبدالنبي عبدالمطلب**، في حديثه لـ«المجتمع»، أن الدول الإسلامية تمتلك الكثير من الثروات الطبيعية نظراً لاتساع رقعة العالم الإسلامي، وتمدد المجتمعات الإسلامية في أنحاء القارات الأربع (آسيا، أوروبا، أفريقيا، أمريكا اللاتينية)، بما يكسب الدول تنوعاً كبيراً في الموارد والثروات الاقتصادية، يستند لامتلاك ثروات مثل النفط والغاز والغابات والثروات الحيوانية والقوى البشرية والآثار، وغيرها.

ويضيف د. عبدالمطلب أن العالم الإسلامي يمتلك إمكانيات عديدة للتكامل الاقتصادي تؤدي إلى تنمية اقتصادية كبيرة، ولكن لدينا مبادرات كثيرة لم يكتب لها النجاح؛ مثل استغلال الأراضي الكبيرة في السودان التي تصل إلى ٢٠ مليون هكتار كي تكون سلة غذاء العالم العربي، ولكن لم يتم التنفيذ.

ويرجع خبير الاقتصاد الدولي الفشل في ذلك إلى عدم توظيف رأس المال الإسلامي في مشروعات اقتصادية مناسبة خاصة رأس المال الخليجي، وعزوفه عن الاستثمار في الدول الإسلامية ذات الموارد بسبب وقوع بعضها في مناطق عدم استقرار مثل السودان ونيجيريا، أو عدم وجود إمكانات لديها.

ويشير د. عبدالمطلب إلى أن الاستعمار الأجنبي وضع مشكلات بين الدول الإسلامية، من أجل استمرار سيطرته عليها ومنع تكاملها، ومنها استغلاله الخلافات القائمة على المذهبية، موضحاً أن هناك رغبات من الدول الكبرى والشركات الدولية ومتعددة الجنسيات في استمرار الخلافات الإسلامية – الإسلامية حتى تتمكن من السيطرة على مقدرات الدول الإسلامية من خلال الفوائض المالية الموجودة في الدول الخليجية وفوائض الموارد الموجودة في باقي الدول الإسلامية.

ويؤكد أهمية استغلال القدرات والإمكانيات والكفاءات سواء المصرية أو

عبدالمطلب: الدول الكبرى تعرقل تكامل أوطاننا ولدينا الإمكانيات والموارد

التونسية أو الفلسطينية أو الإندونيسية أو الماليزية في أي مساع للتكامل، بالشراكة مع رأس المال الخليجي، مع العمل على تسهيل التواصل والاتصال بين جميع الدول الإسلامية بعد التغلب على عامل اللغة الذي قد يدفع بعض الدول التي تتحدث اللغات الأجنبية إلى تفضيل الشراكات الأجنبية على العربية والإسلامية نظراً لتقارب اللغة، والثقافة المتأثرة بالاستعمار.

الوحدة الاقتصادية هي الحل

بدوره، يرى الخبير الاقتصادي الأكاديمي **د. إبراهيم الطاهر**، في حديثه لـ«المجتمع»، أن الوحدة الاقتصادية هي بوابة الحل لتفعيل فرص التكامل الإسلامي المجمدة في أدراج المؤسسات الإسلامية الاقتصادية المشلولة بفعل سياسات الدول المتباينة، والاتفاقيات التي باتت كالحبر على الورق، رغم امتلاك العالم الإسلامي وفرة في الموارد الطبيعية والغذائية والبشرية، والثروات، والسيولة المالية الكافية.

ويضيف د. الطاهر أنه في ظل وفرة المال الخليجي، يمكن أن نستوعب أحلام المستثمرين الخليجيين في مشروعات تنموية وبيئة تناسب الجغرافيا والمرحلة وآمال التكامل الإسلامي، وتحفيز بعض أنظمة العالم الإسلامي، التي تخشى الوحدة وتعمل على استمرار منظمة مثل التعاون الإسلامي في إطار تعاوني لا يرقى للتكامل والوحدة على غرار الاتحاد الأوروبي.

ويشير الخبير الاقتصادي إلى أن هناك قراراً بإنشاء السوق الإسلامية المشتركة منذ عام ١٩٨٨م، ولكن لا يوجد تفعيل حقيقي يرتقي للأزمات الاقتصادية في بعض الدول العربية والإسلامية، بينما بعض الدول الإسلامية تستثمر بثقلها في أسواق أوروبية وأمريكية، غير مبالية بأزمات المسلمين والعرب الاقتصادية.

الخروج من التخلف

وبحسب دراسة معمقة أصدرها مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، تحت عنوان «الوحدة الاقتصادية بين الأمة الإسلامية»، فإن التكامل الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي أحد أهم الأساليب للخروج من ربقة التخلف الذي تحيا فيه بناء على واقعها الاقتصادي الذي تعد فيه من الدول النامية أو المتخلفة رغم إمكاناتها الكبيرة بسبب حالة التبعية المهينة لاقتصاديات الدول الكبرى.

وتشير الدراسة التي أعدها الاقتصادي الإسلامي الراحل محمد عبدالحليم عمر، أن العالم الإسلامي تتوفر لديه الأسس اللازمة لقيام التكامل الاقتصادي لـ٥ أسباب، في مقدمتها: وحدة الأمة الإسلامية المقررة شرعاً، حيث يعتبر التكامل الاقتصادي فيما بين دولها جزءاً من وحدتها انطلاقاً من أن الإسلام ليس عقيدة فقط، وإنما هو نظام متكامل يمثل الاقتصاد أهم عناصره.

ويعتبر التجانس الثقافي والاجتماعي المتوافر لدى جميع دول العالم الإسلامي أهم محفزات التكامل الاقتصادي المنشود، حيث يجعل التفاهم بين سكان العالم الإسلامي أقرب وأسرع وأوثق، بجانب ميزة الجوار بين العالم الإسلامي، حيث تمتد أغلب دوله في سلسلة جغرافية متصلة من جنوب شرق آسيا وحتى بلاد المغرب العربي على المحيط مما يسهل عملية الاتصال والانتقال.

ووفق الدراسة، فإن التنوع البيئي والمناخي في دول العالم الإسلامي يساهم بشكل كبير في إحداث وحدة مناخية وبيئية، تعزز التكامل والوحدة الاقتصادية، خاصة في ظل التنوع بالموارد والقدرات وبالتالي في المنتجات.

وأكدت الدراسة أن التكامل سهل في ظل وجود إمكانات كبيرة لدى دول العالم الإسلامي مجتمعة، بينما الجزء الأكبر منها غير مستغل مثل الأراضي والموارد البشرية، كما أن جزءاً منها يصدر إلى دول أخرى

الطاهر: أزماتنا في مؤسسات اقتصادية مشلولة واتفاقيات كالحبر على الورق!

مثل رؤوس الأموال ويعاد تدفقه إلى العالم الإسلامي بشروط غير مواتية، هذا فضلاً على عدم استغلال بعض الإمكانات في إكمال العمليات الاقتصادية، حيث تتسم صادرات الدول الإسلامية بأنها موارد أولية ويعاد استيرادها سلعاً مصنَّعة.

واقترحت الدراسة ٥ مراحل متتابعة لتحقيق التكامل الاقتصادي، تقوم على إنشاء منطقة التجارة الحرة في البداية؛ بما يعني إلغاء الجمارك على السلع والخدمات التي تنتقل بين الدول المشتركة في اتفاقية المنطقة الحرة، مع احتفاظ كل دولة بتعرفتها الجمركية إزاء الدول غير الأعضاء في الاتفاقية، ثم تدشين الاتحاد الجمركي، ويكون بالاتفاق على حرية تبادل السلع بين دول الاتحاد الجمركي ودون قيود جمركية مثل المرحلة السابقة، ويضاف عليها تطبيق الدول الأعضاء تعريفة جمركية موحدة في معاملاتها مع دول العالم الأخرى.

ويأتي عقب ذلك، بحسب الدراسة، انطلاق السوق المشتركة، ويكون زيادة على ما سبق، الاتفاق على حرية انتقال الموارد أو عناصر الإنتاج؛ وهي العمل ورأس المال بين دول السوق المشتركة، ثم تدشين الاتحاد الاقتصادي، ويكون بالإضافة إلى ما تحقق في السوق المشتركة، العمل على تنسيق السياسات الاقتصادية والمالية والنقدية وما يرتبط بها من إجراءات، وصولاً إلى الوحدة الاقتصادية، التي تكون بالإضافة إلى ما تحقق في المراحل السابقة بتوحيد السياسات النقدية والمالية والاقتصادية والعملة والعمل وإنشاء مؤسسات تكاملية (مثل البنك المركزي الموحد لدول التكامل) ووجود سلطة عليا للوحدة وجهاز إداري لتنفيذ السياسات الاقتصادية التكاملية.■

التكامـــل الاقتصـــادي بيـــن دول العالم الإسلامي.. فرص وتحديات

د. بوبوش: الوحدة الاقتصادية الإسلامية ضرورة ملحّة في عالم لا يعترف بالكيانات الصغيرة

تعتبر التكتلات الاقتصادية في العالم عنصر قوة بامتياز، فما أحرى الدول الإسلامية أن تتكتل بعد تشرذم وضعف، وتعمل على تجميع إمكاناتها الطبيعية والاقتصادية والبشرية مع الاستعداد والتأهيل لتكتل اقتصادي قوي يقف موقف الند أمام التكتلات الأخرى للدفاع عن مصالحها.

ويقدم التكامل الاقتصادي للأمة الإسلامية إمكانات كبيرة لا تقارن بإمكانياتها الحالية، فضلاً عن أن تقارن بإمكانات كل قُطر على حدة.

ويؤكد خبراء وأكاديميون مغاربة، في حديث لـ«المجتمع»، وجود فرص لنجاح هذا التكامل، مع وجود تحديات ومعوقات لا يمكن إنكارها، لكن يمكن تجاوزها بالإرادة والعزيمة والنظر إلى مصلحة الشعوب أولاً وأخيراً.

الرباط– عبدالغني بلوط:

يبرز أستاذ العلاقات الدولية المغربي د. **محمد بوبوش** أن الوحدة الاقتصادية بين دول العالم الإسلامي المترامية الأطراف صارت ضرورة ملحة في ظل عالم لا يعترف بالكيانات الصغيرة الضعيفة، فقد صارت التكتلات بين الدول في مجالات الاقتصاد والسياسة أمراً لا غنى عنه من أجل مواجهة طوفان العولمة الجارف حيث البقاء فيه للأقوى اقتصادياً.

ويضيف أنه من المؤكد أن دول العالم الإسلامي مجتمعة تمتلك اليوم ثروات اقتصادية ضخمة وموارد بشرية هائلة، وإذا اقترنت بالتكامل وتم توظيفها بالشكل الأمثل والأرشد، فإنها تشكل بلا شك كتلة اقتصادية ضخمة وقوة دولية تمكنها أن تكون في مصافّ التكتلات الاقتصادية العالمية الكبرى.

من جهته، يعدد رئيس المركز المغربي للدراسات الإستراتيجية والعلاقات الدولية د. **محسن الندوي** مقومات التكامل الاقتصادي بين البلدان الإسلامية، الإنتاجية والجغرافية والفكرية.

ويبرز أن لهذه الدول الإسلامية مقدرات طبيعية ومتنوعة من حيث الموارد الزراعية (النباتية والحيوانية)، حيث تشكل نسبة ٢٠% من المساحة الزراعية على مستوى العالم، وأيضاً الموارد البشرية؛ حيث إن سكان العالم الإسلامي أكثر من مليار نسمة، وينمو سنوياً بمعدل ٥%، كما أن هناك موارد معدنية من ماس وذهب وكبريت وفوسفات ونحاس وحديد وألومنيوم وفحم حجري وياقوت وغيرها، كما يوجد البترول في ٣٥ دولة (٤٥% من الإنتاج العالمي)، والغاز الطبيعي في ٢٥ دولة (٨٠% من الإنتاج العالمي)، والفوسفات (٧٠% من الإنتاج العالمي)، والألمونيوم (٢٣% من الإنتاج العالمي).

ويشير إلى أن الدول الإسلامية تتوزع على ٤ قارات، وتبلغ مساحتها ٣٢ مليون كم٢؛ أي ربع مساحة العالم، وتطل على أهم المواقع العالمية من بحار ومحيطات ومضايق بحرية، وأيضاً لديها أنهار، فيما تمتاز المقومات الجغرافية السكانية بامتلاك الدول الإسلامية ثروة بشرية هائلة، وفي نمو؛ حيث إن العامل السكاني مهم في التنمية، علاوة على المقومات الفكرية التي منطلقها الدين الإسلامي الذي يحث على التكامل والشمولية وتوحيد الأمة والأخوة الإسلامية.

فوائد

ويشير الندوي إلى فوائد الاكتفاء الذاتي العربي والإسلامي من القمح والغذاء، وخفض نسبة الاعتماد على العالم الخارجي، في استيراد السلع اللازمة للسوق المحلية بكافة مجالات نشاطاتها، الغذائية والدوائية والصناعية الخفيفة والثقيلة، وخاصة في مجال الأمن والدفاع العسكري.

ويشدد على ضرورة الاستفادة من إنتاجيات الدول المشاركة، وبالتالي إقامة الصناعات التخصصية بين الدول الأعضاء، التي تؤدي إلى تحسين الإنتاج كماً ونوعاً، وتوفيره في الأسواق بأفضل المواصفات.

ومن أهم الإجراءات التي يجب اتخاذها دعم مواقف الدول الإسلامية في وجه المنافسة الدولية بمجال التجارة العالمية لتتمكن من إثبات وجودها على الساحة الدولية، وتوسيع مجالات الإنتاج، وتعدد طرقه، ليلبي حاجة السوق في الدول الأعضاء، ويعمل على إيجاد فرص عمل للشباب العربي والمسلم.

ويؤكد تغطية حاجة السوق في الدول

د. الندوي: الدول الإسلامية تمتلك مقدرات طبيعية وموارد بشرية ومقومات جغرافية وفكرية هائلة

د. الصديقي: غياب سياسات اقتصادية مشتركة يؤثر سلبيًا على العلاقات بين الدول الإسلامية

الأعضاء والصديقة، ثم تصدير الفائض إلى الخارج، بنظام المبادلة التجارية مع الأسواق العالمية، وذلك بمبدأ التعاون المشترك القائم على العدل والاحترام المتبادل بين الأطراف المعنية، إضافة إلى تقسيم العمل الإسلامي الدولي، وهذا يعني إقامة المشروعات الإنتاجية الضخمة على أساس التخصص والمزايا النسبية، مما يؤدي إلى رفع الكفاءة الإنتاجية وخفض التكاليف، وهذا يحقق مصلحة المنتج والمستهلك.

كما يشدد على زيادة إمكانية وحجم الاستثمار في ظل التكامل الاقتصادي الأمر الذي يؤدي إلى زيادة النشاط الاقتصادي وزيادة الدخول؛ وبالتالي تزايد المدخرات التي تساعد على زيادة الاستثمارات، وزيادة القدرة التفاوضية للدول الإسلامية في ظل التكامل الاقتصادي، الأمر الذي يؤدي إلى تحسين معدل وكفاءة التبادل التجاري مع الدول الخارجية، ويضع حداً لتقلبات الأسعار الخاصة بصادرات الدول الإسلامية وارداتها التي تحدث نتيجة التقلبات الدورية في مستوى التشغيل والإنتاج في الدول الصناعية المتقدمة.

تحديات

ويرى الخبير الاقتصادي المغربي د. سعيد الصديقي أن العالم الإسلامي متنوع جغرافياً وديموغرافياً وثقافياً ولغوياً، ورغم وجود علاقات اقتصادية ثنائية بين أغلب دوله، فإنه يفتقد إلى منظمة اقتصادية فاعلة، وأما منظمة المؤتمر الإسلامي فهي لا تزال منتدى سياسياً، وليست فاعلة في تطوير التعاون الاقتصادي بين أعضائها.

ويشير إلى غياب سياسات اقتصادية مشتركة، ووجود الارتباطات التاريخية لهذه الدول مع محاور متنافسة، والاختلاف في الأنظمة القانونية للأنشطة الاقتصادية، والأزمات الدولية والإقليمية الكثيرة واختلاف مواقف دول العالم الإسلامي إزاءها إلى حد التناقض والتضارب، كل هذا يرخي بظلاله على العلاقات بين دول العالم الإسلامي وتمنعهم من تطوير تعاونهم الاقتصادي بما في ذلك الاستغلال الأمثل للثروات الطبيعية التي يزخر بها العالم الإسلامي.

في حين، يبرز د. محسن الندوي أن معيقات التكامل الاقتصادي، التي تتجلى في التخلف والتبعية للغير بنسبة كبيرة يعتبر عائقاً لهذا التكامل، وانخفاض التبادل التجاري بين الدول الإسلامية؛ حيث إن نسبة التجارة البينية إلى إجمالي التجارة الخارجية للدول الإسلامية ٨,٣%، والتخلف الصناعي حيث إن نسبة القطاع من الناتج المحلي الإجمالي ٣٠% فقط، علاوة على الفقر والديون، واستفحال مشكلة الفساد الإداري، ومشكلة القطاع الزراعي والاعتماد على الاستيراد من الدول الأجنبية لسد الحاجيات.

ويعتبر المتحدث أن العامل السياسي مهم جداً لاكتمال أي مشروع اقتصادي بداية بالمنطقة الحرة وصولاً للتكامل والاندماج الاقتصادي، والواقع يقول: إن هناك عدم استقرار في الجو السياسي بين الدول الإسلامية؛ وذلك لوجود عدم ثقة وتباين الأنظمة في سياساتها وأيديولوجيتها وطبيعة النظم السياسية، إن التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية وقيام السوق المشتركة أصبح ضرورة ملحة من أجل دفع عجلة التنمية الشاملة نحو الأمام في مختلف الدول الإسلامية.

فيما يبرز د. **محمد بوبوش** أنه إذا كان التكامل الاقتصادي يؤدي دوراً مهماً ومحورياً في النهوض بعجلة التنمية الاقتصادية في اقتصاديات دول العالم الإسلامي، فإن الواقع وبصورة عامة يعطي صورة قاتمة عن التبادل التجاري بين دول العالم الإسلامي والعالم المتسم بضآلته قياساً إلى إجمالي حجم تجارته، وهذا لا يتناسب مع الطموحات الكبيرة المعقودة على دول العالم الإسلامي.

ويضيف أن هناك عوامل داخلية وخارجية تشكل تحدياً حقيقياً لتحقيق التكامل الاقتصادي بين دول العالم الإسلامي، منها مشكلات الحدود السياسية بين الدول الإسلامية والنزاعات السياسية بينها واختلاف أنظمة الحكم وضعف التبادل التجاري البيني، أما العوامل الخارجية ناشئة عن خليط من العناصر الأجنبية المضادة للتكامل الإسلامي، وهذه تجري في سياق فرض التبعية على الاقتصاديات الإسلامية ومحاربة أي محاولة لتحقيق استقلال اقتصادي لتبقى مشدودة بالتبعية الاقتصادية للنظام الاقتصادي الرأسمالي.

لذلك، يختم المتحدث ذاته، فإن السعي الجاد لتفعيل التكامل الاقتصادي الإسلامي من خلال تبني إستراتيجيات تكاملية تؤدي إلى التوظيف العقلاني للإمكانيات الإسلامية الهائلة وغير المستغلة لتنمية التجارة البينية لدول العالم الإسلامي، والشروع في تحقيق التكامل القطاعي (زراعي، صناعي، بترول..)، وإنشاء مؤسسة إسلامية خاصة بالاستثمار تتولى وضع البرامج اللازمة لتعظيم الفرص الاستثمارية وزيادة حجمها داخل الدول الإسلامية ■

المقومـات الاقتصاديـــة للعالـــم الإسلامـــي

أهم المقومات الاقتصادية التي يمتلكها العالم الإسلامي الثروة البشرية أساس التنمية

د. أشـــرف دوابـــــه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

العالم الإسلامي عالم تمتد أراضيه لتشمل ٥٧ دولة إسلامية هم أعضاء منظمة التعاون الإسلامي، في ٤ قارات من العالم، من ألبانيا في شمال أوروبا إلى موزمبيق في جنوب أفريقيا، ومن إندونيسيا في شرق آسيا إلى غويانا في غرب أمريكا اللاتينية، بمساحة تصل إلى سدس مساحة العالم، و٢٨% من مساحة اليابسة.

ويتميز العالم الإسلامي بأنه يجمعه قواسم مشتركة؛ ديناً وتاريخاً وحضارة، ويمتلك مقومات اقتصادية لو تم استثمارها وتحقيق التكامل والتجانس فيما بينها لأصبح قوة اقتصادية يشار لها بالبنان، لا سيما أن ٣٧% من سكان العالم الإسلامي يعيشون تحت مستوى خط الفقر، وتبلغ نسبتهم إلى فقراء العالم نحو ٤٠%.

ثروة بشرية:

ومن أهم المقومات الاقتصادية التي يمتلكها العالم الإسلامي الثروة البشرية التي هي أساس التنمية، حيث يصل عدد المسلمين في أنحاء العالم نحو ملياري نسمة يشكلون نحو ٢٥% من سكان العالم، ويبلغ متوسط نسبة النمو السكاني في دول منظمة التعاون الإسلامي الذي يقاس بالفرق في نسبة المواليد إلى الوفيات في أي بلد، حوالي٢,٢%، وهي نسبة متوسطة مقارنة بالنسب العالمية، وتقع أعمار أغلب سكان العالم الإسلامي ما بين ١٥ – ٤٠ عاماً، وهذا مصدر قوة، فالشباب هم الأغلبية، ولو أمكن إحسان تقديم الرعاية العلمية والصحية والمهنية لهم لزادت إنتاجيتهم وتمدد إنتاجهم.

ثروة تعدينية:

كما يمتلك العالم الإسلامي ثروات هائلة من النفط والغاز الطبيعي والمعادن الأخرى، فالنفط يتوافر في حوالي ٣٥ دولة، ويشكل إنتاجه ٤٣% من الإنتاج العالمي، أما الغاز الطبيعي فيوجد في حوالي ٢٥ دولة، ويشكل إنتاجه ٨% من الإنتاج العالمي، كما تنتج دول العالم الإسلامي ٤٧% من الإنتاج العالمي من القصدير.

ثروة مائية:

كما يمتلك العالم الإسلامي ثروة مائية أكثر من نصف مليون كيلومتر مربع، وهو يطل على أهم البحار والمحيطات والمضايق البحرية، وتقدر حدوده البحرية بحوالي ١٠٢٣٤٧ كم، كما تحتضن أراضيه مدخلي المحيط الهندي، ومدخلي البحر المتوسط، وتجري فيه العديد من الأنهار وأهمها وأطولها نهر النيل، فضلاً عن أنهار النيجر، والسند، وزمبيري، ودجلة، والفرات، وآمو، والسنغال، وغيرها من الأنهار، وهو ما يمثل قيمة مهمة في إنتاج الثروة السمكية، وتوفير مياه الشرب اللازمة لحياة البشر، ومياه الري والشرب اللازمة للثروة الزراعية والحيوانية.

نشاط اقتصادي:

وبالنظر إلى قطاعات النشاط الاقتصادي في بلدان العالم الإسلامي، نجد أنه بالنسبة للقطاع الزراعي؛ فإن دول العالم الإسلامي تتمتع بموارد زراعية غنية مثل المياه والأراضي الصالحة للزراعة، وتستأثر بحصة لا يستهان بها

من الإنتاج الزراعي، وتشير بعض الإحصاءات إلى تحسن أداء بلدان منظمة التعاون الإسلامي على مؤشر إجمالي الإنتاج الزراعي منذ العام ٢٠١٠م، بالمقارنة مع متوسط البلدان النامية غير الأعضاء في المنظمة والمتوسط العالمي، وصنفت بلدان المنظمة ضمن قائمة الـ٢٠ الأكثر إنتاجاً للسلع الزراعية الرئيسة في العالم.

أرض صالحة للزراعة:

ومع ذلك، فإن مساحة الأرض الصالحة للزراعة في بلدان منظمة التعاون الإسلامي بلغت نحو ٢٣% من إجمالي مساحتها الزراعية؛ وهو ما يعني عدم الاستثمار الجيد لها، فضلاً عن أن مساهمات القطاع الزراعي في الناتج المحلي الإجمالي في بلدان المنظمة لا تتعدى نسبته ١٠%، وقد ساهم في هذا أزمة «كورونا»، فضلاً عن عدم استقرار أسعار السلع الزراعية والضغوط البيئية وتجريف الأراضي وعدم إحسان استغلال الموارد المائية، وهذا يحتم على دول المنظمة الاستفادة من عناصر التكامل الزراعي فيما بينها، واستخدام التكنولوجيا الزراعية لزيادة الإنتاج، والاكتفاء الذاتي من الغذاء، وبذل كل الجهد لتعزيز نمو الثروة الحيوانية والسمكية.

قطاع صناعي:

أما القطاع الصناعي في دول العالم الإسلامي، فما زال لم يبرح مرحلة الأمل، باعتباره قاطرة التنمية، وقد تجاوز الإنتاج الصناعي في دول العالم الإسلامي عتبة التريليون دولار، وقد شهد خلال الفترة الماضية زيادة مستمرة، حيث بلغت حصة دول منظمة التعاون الإسلامي من القيمة المضافة للتصنيع العالمي نحو ٨%.

وتختلف المساهمات في القيمة المضافة للتصنيع العالمي بين دول المنظمة، حيث تستأثر إندونيسيا وتركيا وحدهما بأكثر من ثلث إجمالي القيمة المضافة للتصنيع، وهذا يحتم على دول المنظمة السعي للاستفادة من المزايا النسبية التي تمتلكها لتعزيز التكامل التصنيعي فيما بينها، مع إيلاء أهمية لتصدير التكنولوجيا، وتوفير احتياجات دول المنظمة من السلع المصنعة، والخروج من نفق التبعية التصنيعية للدول الغربية.

قطاع تجاري:

أما القطاع التجاري في دول العالم الإسلامي، فما زالت التجارة بين دول المنظمة والعالم الخارجي وبينها وبين بعضها بعضاً متواضعة، فبلدان المنظمة لم تنل حظها الكافي في التجارة العالمية، ومساهمتها في التدفق العالمي للسلع والخدمات دون إمكاناتها، وما زالت تعتمد في إنتاجها بصورة كبيرة على استيراد المواد الخام من غيرها من الدول.

مزايا نسبية:

وتمثل بلدان منظمة التعاون الإسلامي حوالي ٩% من الاقتصاد العالمي، وتستحوذ على أكثر من ١١% من التجارة العالمية، ويشكل حجم التجارة بين الدول الأعضاء نحو ١٩%، وهذا يتطلب بذل الجهود بين دول المنظمة للاستفادة من المزايا النسبية لكل دولة تجاه الأخرى بما ينظم عملية الصادرات والواردات ويحقق التكامل فيما بينها.

إننا اليوم في عالم تقوده التكتلات الاقتصادية، ولا مكان فيه للانفراد والانعزال، ومن لا يملك قوته الاقتصادية لن يجد له موضع قدم في هذا العالم الذي تحيط به العولمة من كل مكان، لذا يتوجب على الدول الإسلامية الاستفادة من القواسم المشتركة فيما بينها، وتحقيق أهدافها لتكون منظمة التعاون الإسلامي نواة لتحقيق الوحدة الاقتصادية الإسلامية، التي بها يمكن أن يعرف العالم الإسلامي طريقه للاستقلالية.

وهذا يتطلب إرادة سياسة قوية، تجمع ولا تفرّق، وترفع راية الإخاء الإسلامي على راية القومية الضيقة، وتعي أن الاستخلاف فريضة إسلامية، ولا استخلاف حقيقياً دون إنتاج يوفر للأمة الإسلامية غذاءها وكساءها ودواءها وسائر احتياجاتها بعيداً عن ذل التبعية للمنظومة الغربية.■

العالم الإسلامي يمتلك ثروات هائلة من النفط والغاز الطبيعي والمعادن الأخرى

.. وثروة مائية ويطل على أهم البحار والمحيطات والمضايق البحرية الدولية

.. ويتمتع بموارد زراعية غنية ويستأثر بحصة لا يُستهان بها من الإنتاج الزراعي

بلدان منظمة التعاون الإسلامي تمثل حوالي ٩% من حجم الاقتصاد العالمي

التكافل والتراحم والتضامن.. مقومات أساسية للدولة المسلمة

د. علي محمد الصلابي
كـــاتـــب إســـلامـــي

شكلت وثيقة المدينة المنورة قصة السبق بالنسبة لكل دساتير العالم، وتعد أول تجربة سياسية إسلامية بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان لها دور بارز في إخراج المجتمع من دوامة الصراع القبلي إلى رحاب الأخوة والمحبة والتسامح، إذ ركزت على كثير من المبادئ الإنسانية السامية.

كما شكلت الوثيقة العقد الاجتماعي الأول في تاريخ المسلمين، وحتى في تاريخ البشرية، وإحدى أهم مرتكزات دولة النبوة، فالنبي صلى الله عليه وسلم وضع دستوراً ينظم الحياة العامة في المدينة، ويحدد العلاقات بينها وبين جيرانها قبل انصرام العام الأول للهجرة؛ دستوراً وعقداً سياسياً واجتماعياً لم يسبقه إليه نبي ولا مصلح ولا مليك، وقد اتفقت الوثيقة في مبادئها وأصولها مع المبادئ والأصول العامة والأساسية التي جاء بها الشرع جملة وتفصيلاً، وأهم تلك المضامين الاجتماعية والقانونية والعَقدية:

أولاً: المواطنة:

كانت يثرب قبل قيام الدولة الإسلامية مقسمة إلى خمسة أجزاء، كل جزء منها تسيطر عليه قبيلة من القبائل، وقد كان الخلاف بين مختلف القبائل مستحكماً، فكانوا يعيشون دائماً في حروب دامية متواصلة إلى أن تكونت الدولة الإسلامية منذ نشأتها بالمدينة تحت قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى أساس دستوري مكتوب، وقد تكونت من رعايا مختلف الديانات: المسلمون من المهاجرين والأنصار، وأهل الكتاب من اليهود، وبقايا مشركي المدينة؛ وقد أطلق عليهم رعايا الدولة الإسلامية.

وكان ارتباط الأفراد بالدولة ارتباطاً لا يشبه ارتباط الفرد بالفرد؛ لأن الدولة الإسلامية ليست فرداً، وإنما لأن الدولة الإسلامية وهي قيادة سياسية ومنظومة قانونية معاً، يلتزم بها الفرد والدولة، فهذه الآثار هي الحقوق التي يتمتع بها الفرد في ظل الدولة والواجبات التي يلتزم بها قبلها، وهذه الرابطة هي الجنسية بمفهومها الحديث، فهم جميعاً آمنون بأمان الإسلام، من المسلمين وغير المسلمين، بل لها من الرحابة ما تستوعب به العناصر الأخرى دون صهر أو تذويب، قابلة للتوسع والتقلص تبعاً لعدد من ينضم إليها أو يتركها باختياره.

ثانياً: الأخلاق الاجتماعية في الوثيقة:

عندما قَدِمَ الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة وجد فيها جماعات متناحرة، فكوَّن منه مجتمعاً موحداً يختلف في جميع مناحي حياته عن المجتمع القديم، ويمتاز عن أي مجتمع يوجد في العالم آنذاك؛ لأنه ارتكز في بنائه على الإسلام الذي حارب الأفكار الجاهلية وهدم المبادئ الفاسدة والنزاعات الضارة، وقضى على العداوة التي ولدتها، وأقام بناء المجتمع على أسس راسخة ودعائم قوية، سقطت معها القيم القديمة التي كانت عاملاً في التناحر والفرقة، وجمع بين المسلمين برباط وثيق هو الإيمان، كما التكافل والتعاضد بين البطون والقبائل والطوائف.

ثالثاً: مساواة الجميع أمام القانون:

الناس جميعاً سواسية أمام القانون الإلهي، غنيهم وفقيرهم، شريفهم ووضيعهم، المسلم وغير المسلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨)، فحطمت بذلك التفرقة العنصرية والتمايز بين أعضاء المجتمع المديني.

وليس في القانون أي تمييز لأي فئة كيفما كانت أمام مغانم الحياة العامة ومغرمها في المدينة؛ لأن المبدأ الإسلامي العادل هو الغرم بالغنم، وإن كان الله تعالى قد حمل المسلمين عبء التضحية والفداء لإقامة دولة الإسلام، فالكل سواء، لا فوارق ولا طبقية بينهم وبين بعضهم، إلا طبقاً للمعايير الموضوعية التي قررها الميثاق الإسلامي والمتمثلة بالإيمان والعمل الصالح.

رابعاً: مراعاة حق الجار:

بلغ الأمر في الإسلام أن جعل إكرام الجار آية من آيات الإيمان الصادق والتدين الأكيد، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِي جَارَهُ»؛ لكي تسود المجتمع المدني علاقات سليمة، ترتكز في الأساس على التعاون على البر، ورعاية الفضيلة ومنع الأذى، وإقامة الحق بين الناس جميعاً.

خامساً: ضمان الأمن لطوائف المجتمع وحق الحياة والدفاع المشترك:

لما جاء الإسلام آخى بين الناس، وأزال ما بينهم من العداوات، وسلَّ ما في قلوبهم من السخائم، وقضى على خرافة الهامة، وعدها من أباطيل الجاهلية، قال صلى الله عليه وسلم: «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»، وثبّت سيادة القانون الإسلامي الجديد الذي حرم قتل النفس إلا بالحق، فأصبح القتل من الكبائر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (النساء: ٩٣)، وبالتالي ألغى ذاك العرف الجاهلي الداعي للثأر، وحفظ الحياة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (البقرة: ١٧٩)، كما جمعت وثيقة المدينة بين أهل

العقائد والأجناس، وجعلتهم مواطنين مكلفين بالدفاع عن الوطن أمام أي اعتداء يفاجئ المدينة من الخارج.

كما يظهر أثر وثيقة المدينة في التأسيس لحوار إنساني ومجتمع متكامل بعيد عن العصبيات والمآرب الشخصية، وتتكشف فيه حقوق وواجبات كل إنسان في الدولة، وبدا أثر وثيقة المدينة المنورة في السلام العالمي من خلال:

١- التسامح الديني:

فلم يعرف الغرب الحرية الدينية ولا التسامح الديني إلا منذ قرن ونيف، وذلك بعد قرون مظلمة من التعصب الديني والاضطهاد والمجازر الرهيبة، ونتيجة لذلك الظلم والعدوان القائم على التعصب الديني والإرهاب الفكري، أعلن الإسلام بكل صراحة ووضوح عداوته للتطرف والغلو، سواء في الدين أو في التعامل الأخلاقي البشري، متوخياً في دعوته أسلوباً حضارياً راقياً يقوم على مبدأ التسامح ويندد بالتعصب الديني والإرهاب الفكري، وقد أعلن القرآن ذلك بصراحة ووضوح في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

٢- التعايش والتعاون بين الناس داخل الدولة الواحدة:

إن التعايش مع الأديان بصفة خاصة، ضرورة من الضرورات الملحة التي يفرضها الحفاظ على سلامة البناء الإنساني، ويمليها الحرص المشترك على البقاء الحر الكريم في عالمنا، لذا نجد أن الإسلام قد سبق الأمم والمنظمات الدولية إلى إعلان نداء السلام العالمي بمقتضى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ (البقرة: ٢٠٨)، فالإسلام يريد أن يؤكد في ضمير الناس حقيقة راسخة، وهي أن كل الناس من أصل واحد، وهو آدم عليه السلام.

٣- الاعتراف بالآخر:

وهذا يتوافق مع التوجيه القرآني لصاحب الرسالة عندما أمره ربه تعالى أن يقول لمن لا يستجيب لدعوته: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦)، وفي قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩)، وهذا أقصى أنواع الاعتراف بالآخرين، الذي ينطلق من الثقة والاحترام، ومن الرغبة في التعاون لخير الإنسانية في المجالات ذات الاهتمام المشترك.

٤- قيمة حقوق الإنسان في الوثيقة:

فقد كانت حياة العرب قبل الإسلام تموج بحركة عاصفة من الشهوات والمآثم، وحب السيادة والعلو، يعيش أفراد المجتمع فيها برباط الولاء للقبيلة، توجههم تقاليد متوارثة، وكان من أولويات الدولة الإسلامية الجديدة، التي أنشأها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة، أنها رسمت للناس المنهج القويم، الذي يكفل لهم الكرامة الإنسانية، فقد كانت بمثابة فتح جديد في تاريخ البشرية، حينما نص دستورها على أرقى مضامين الحرية والكرامة للإنسان، التي تمكنه من ممارسة حقوقه وحرياته الشخصية في هذه الحياة، كونها ضرورات إنسانية فردية وجماعية لا سبيل لحياة الناس بدونها.

ومن هذه الحقوق: حق الحرية وحق الحياة وحق حرية الاعتقاد وحق العدل والمساواة وكفالة حرية الرأي وحق الأمن والمسكن والتنقل وحق الفرد في المعونة المالية (التكافل والضمان الاجتماعي)، وغيرها من الحقوق التي كفلها «دستور» دولة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي في نظر الإسلام ليست فقط حقوقاً للإنسان، وإنما هي ضرورات واجبة لهذا الإنسان؛ أي أن الإسلام قد بلغ بإقراره لحقوق الإنسان إلى الحد الذي تجاوز بها مرتبة الحقوق عندما اعتبرها ضرورات.

منذ اللحظة التي ظهر فيها الإسلام في أرجاء العالم، لم يكن ديناً فحسب، بل كان نمط حياة يهدف إلى بناء مجتمع يتسم بالتضافر والتكافل، ويُعتبر الإسلام مصدراً مهماً لتشجيع وتعزيز ثقافة التكافل في المجتمعات، ومن الأمور التي تبرز دور الإسلام في تنمية الثقافة التكافلية:

- الزكاة والصدقات: يحث الإسلام على دعم الفقراء والمحتاجين من خلال مفهوم الزكاة والصدقات، ويعتبر الإخراج المالي للزكاة والصدقات واجباً إسلامياً، وهو يعزز التواصل بين أفراد المجتمع ويقوي الروابط الاجتماعية.

- رعاية الفقراء والأيتام: يُحث المسلمون على رعاية الفقراء والأيتام، ويعتبر الاهتمام بهم جزءاً من العبادة، حيث يعزز هذا الأمر ثقافة التكافل والرعاية للأفراد الذين يحتاجون إلى دعم المجتمع.

- العدالة الاجتماعية: يشجع الإسلام على العدالة الاجتماعية وتحقيق التوازن في المجتمع، ويشمل ذلك توزيع الثروة بشكل عادل ومحاربة الظلم والاستغلال، مما يعزز ثقافة التكافل والتضامن.

- المشاركة في المجتمع: يشجع الإسلام على المشاركة الفعّالة في شؤون المجتمع، وتشجيع الناس على تبادل المعرفة والخبرات يساهم في بناء ثقافة تكافلية قائمة على التفاعل الاجتماعي.

- فضيلة العطاء والمساعدة: يعتبر الإسلام فضيلة العطاء والمساعدة أموراً محورية في السلوك الإسلامي، وهذه القيم تساهم في تشكيل ثقافة تكافلية تعتمد على التضامن وتبادل المساعدة.

- الأخوة الإسلامية: يشجع الإسلام على التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع، ويروج لفكرة الأخوة الإسلامية، وهذا يساهم في بناء روابط قوية وثابتة بين الأفراد والمجتمعات.

وقد كشفت الوثيقة بوضوح أن البعد الإنساني والحضاري في فعاليات السيرة النبوية، وأن الاهتمام بالمسألة الاجتماعية والعلاقات البشرية، ليس أمراً عارضاً فرضته ظروف طارئة، وإنما هو سمة أصيلة، واهتمام مركزي في المشروع الإسلامي النبوي والراشدي، ووضعت نظاماً متكاملاً للمجتمع المديني الجديد يختلف كلياً عن الأنظمة التي كانت سائدة في ذلك العصر، واعتنت بالفرد عناية فائقة، وضمنت له من الحقوق ما يجعله يعيش بها إنسانيته في حرية، وعزة، وكرامة، وكلفته بواجبات تجعل منه شخصاً مسؤولاً في المجتمع ينهض بمهمات تخولها مكانته وأهميته.

وتدلُّ وثيقة المدينة المنورة على حنكة وعبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم في صياغة موادِّها، وتحديد علاقات الأطراف بعضها بعضاً، وتعتبر الوثيقة دليلاً على الفضاء الواسع للقيم الإسلامية وإنسانيتها، فضاء لا يحده الزمان ولا المكان، وهذا يتناسب مع انفتاح المسلمين مع العالم اليوم، وفق الحوار ومعاهدات الشراكة على المستويات السياسية والاقتصادية والإعلامية والفكرية.■

التراث السُّنَني.. وإلهامات البعث الحضاري الإسلامي

علم السنن وإنْ كان غيرَ محفولٍ به في مدونات تراثنا الإسلامي لكنه كان كامناً في فلسفات العلوم

د. عطيـــة الويشـــي

برغم تنصيص الوحي على موضوع السُّنن في غير موضعٍ من سياق الذِّكر الحكيم، وبرغم أنَّ حركة التحضر والتمدن والعمران المتنامي في مختلف البيئات الإسلامية عبر العصور قد استندت في سياقها العام إلى قوانين الوجود وسُننه ونواميسه المستلهَمَةِ من كتاب الوحي المسطور ومن كتاب الكون المنظور؛ فإن فكرة السنن، على صعيد تراثنا المكتوب، قد ظلت مطوية بين سطور الدراسات الإسلامية، متوزعة على مختلف التخصصات ما بين خَطْرةٍ أو فكرةٍ هنا وبين شطرة أو فقرةٍ هناك، وهو ما ينمُّ عن أنَّ فهماً نخبوياً بدا مستوعباً، على نحوٍ ما، فقه السنن النفسية والاجتماعية والآفاقية، مُتفَهِّماً مركزية دورها في تطوير الحياة وتحضر المجتمعات الإسلامية عبر العصور والمصور.

فلسفات العلوم

وفي تقديرنا أنَّ علم السنن، وإنْ كان في غابر القرون زاوياً مهجوراً غيرَ محفولٍ به في مدونات تراثنا الإسلامي، لكنه كان كامناً في فلسفات العلوم، وكان روحاً سارياً في وجدان العلماء بطريقة جعلته أقرب ما يكون إلى سليقتهم وبديهتهم، حاضراً في تصوراتهم ومسالكهم، دون استظهارٍ يرقى إلى مستوى التأليف المتخصص! وهو الأمر الذي يتعذر معه تتبُّع فكرة السنن في المؤلفات الإسلامية طيلةَ قرونٍ عديدة!

وفي المقابل، حين نتأمّل المنجز الحضاري الإسلامي بقواعده النظرية وتجلياته التطبيقية وخصوصياته القيمية، سنجد أنَّ سُنَنَ الله وقوانينه في المجتمعات والآفاق كانت مصدر إلهام محوري في تسيير منظومة الحياة الإسلامية وتيسير حركتها عبر العصور؛ الأمر الذي يجعل من اهتمام متأخري العلماء المسلمين بالسنن وعنايتهم بنظمها علماً مستقلاً، وتيسير فهمها، والتأكيد على تداولها وتعاطيها زاداً للحياة بمختلف وجوهها؛ لهو أبرز دليلٍ على الشعور بمدى فداحة افتقادها بعد أن كانت متجلية ملموسة في مسيرة حياة السابقين!

وبناء على المعطيات المتوفرة من عمليات المسح الببليوغرافي، نجد أن دراسة فقه السنن لم تلق الاهتمام اللائق إلّا مع بواكير الكتابات الأولى للشيخين محمد عبده، ومحمد رشيد رضا؛ اللذَيْنِ يُعزَى إليهما فَضْلُ تأسيسِ ما يمكن تسميته «علم السنن».

أسباب موضوعية

ولعل ما أعطى تلك الأفكار التأسيسية زخماً وفاعلية، أنَّ الحركات الإصلاحية التي ظهرت في أعقاب ضياع الخلافة الإسلامية (١٣٤١هـ/ ١٩٢٤م) قد راحت تبحث في الأسباب الموضوعية لذلك التبدد الحضاري؛ الأمر الذي أسهم في توسيع دوائر النقاش ومساحات التداول الفكري حول موضوع السنن عبر مختلف الأنساق العلمية الثقافية في المحيطين العربي والإسلامي، وتعزيز القناعات النخبوية بفاعلية المنهج السنني على مختلف المسارات التي تحاول استعادة الدور الحضاري الإسلامي المفقود!

وفي أصداء التداعيات التي أعقبت سقوط دولة الخلافة العثمانية، وتضاؤل الآمال في إنتاج فكرة الجامعة الإسلامية، راحت بعض الكتابات المعاصرة للأحداث تنبش تحت ركام الأحداث بمنطق السنن تتحرى العلل وتبحث في أسباب ذلك الترنُّح الذي تداعت له إرادة المجتمعات وتساقطت معه هيبة الدولة والأمة! الأمر الذي ملأ آفاق الوجود الإسلامية بالتساؤلات التي

حين نتأمّل المنجز الحضاري الإسلامي سنجد أنَّ سُنَنَ الله وقوانينه في المجتمعات والآفاق كانت مصدر إلهام محوري

دراسة فقه السنن لم تلق الاهتمام اللائق إلّا مع بواكير كتابات الشيخان محمد عبده ومحمد رشيد رضا

الأفكار التأسيسية زادت زخماً لأنَّ الحركات الإصلاحية التي ظهرت بعد ضياع الخلافة بحثت أسباب ذلك التبدد الحضاري

أثارت قريحة الغيورين بحثاً عن تفسيرات علمية معقولة لنوبة الغيبوبة الحضارية والانتكاسة التي انتابت الأمة المسلمة بمختلف أقطارها أفراداً وجماعات هيئات ومؤسسات وحكومات.

مدرسة المنار

وفي هذا السياق، سطَّرَ شكيب أرسلان كتاباته الأخيرة تمهيداً لطرح السؤال الكبير الأكثر أهمية في سياق استعراضه «حاضر العالم الإسلامي»: «لماذا تأخر المسلمون وتقدّم غيرهم؟»، ولم تكن تلك التساؤلات سوى صدى فكر مدرسة المنار السُّننية، تلك المدرسة التي لازم أرسلانُ أئمتها وطلائع روّادها، فجاءت كتاباته الأخيرة متأثرة بفكر تلك المدرسة أيمّا تأثُّر!

ولقد كانت أفكار سيد قطب مثالاً متطوراً لأفكار تلك المدرسة الإصلاحية؛ فلا نكاد نقرأ كتاباً له إلا والتماعات السنن تكشف للسالكين سبيل الإصلاح عن معانٍ عميقة الدلالات جليلة القدر ذات خواص إيجابية للتفاعل مع الفواعل الأخرى من إيجاد مخارج للأمة من أزمتها الحضارية.

ويمكننا القول: إنَّ فقه السنن عند الشهيد سيد قطب قد جاء مُتخلِّلاً كافة مؤلفاته وكاملاً بين سطورها، مستهدفاً ترويج المعرفة السننية بين مختلف شرائح مستهلكي الثقافة العربية والإسلامية، وقد أبلى في ذلك بلاء حسناً! فضلاً عمّا قدّمه من مقاربات فكرية وشرعية كانت بالغة التأثير في تطوير فكر السنن، لكنَّ منيته لم تمهله في إخراج مشروع سُنَنِيٍّ متكامل السمات والخصائص.

طراز فريد

وقد بدت أقدار الله الحكيمة مؤذنة بظهور مفكر مسلم من طراز فريد قد أسهم في تدعيم أركان علم السنن وتقريبه إلى كينونة العلم المستقل، إنه مالك بن نبي.

وقد جاءت أفكار بن نبي لتمثل سمة جوهرية لمرحلة تجديدية في مجال القراءات السننية للكون والحياة والإنسان؛ وقد كانت تلك الأفكار محاولة جادة من أجل وضع حَدٍّ للنزيف الحضاري الإسلامي، ذلك الذي جعلت مشكلاته تتفاقم مع فقدان الضمّادات الحاقنة لذلك النزيف الذي أوشكت به طاقة الأمة على التبدُّد والنفاد، وراحت تساؤلات بن نبي تزداد إلحاحاً، يوماً بعد يوم، بحثاً عن الحل الحضاري الإسلامي، ولا سيما بعد تداعيات الثقة المتبددة في كفاءة المشروعات القومية داخل الأقطار العربية والإسلامية.

ولم تتوقف أهمية أفكار بن نبي عند حدود تشخيص الحالة الحضارية الإسلامية ومآلاتها على أضواء السنن التفسيرية والقوانين التي تصف تلك الحالة من جوانبَ مختلفة، بل قدَّم بن نبي نسقاً من التفكير المتطور في عمقه، والعميق في تطوره، واضعاً مصفوفة الحلول في خدمة موصوفة المشكلات.

منهجية رصينة

ولعل من أبرز ما أكسب أفكار بن نبي عن السنن دقة وإحكاماً، سواء في عرضه القضايا وتشخيصه العلل والأدواء أو في توصيفه المشكلات، أنها كانت تصدر عن الوحي، فاكتسبت منجزه الفكري احتراماً علمياً وتقديراً فضلاً عن منهجيتها الرصينة؛ فقد توسَّل بالسنن كأداة كاشفة عن مكامن العلل وأسباب التعافي وقوانين النهوض الإيجابي إلى مواجهة التحديات بجهود البناء والنماء المتطور.

ولقد كان لهندسة السنن، وفق رؤية مالك بن نبي، دور في إعادة تقنين العلاقات بين «عالم الأشخاص» و«عالم الأفكار» و«عالم الأشياء»؛ إذْ قدم رؤية تستجمع الخلاصات التأصيلية في حقل السنن وبلورتها في صيغ تفعيلية من شأنها الإسهام في تخليق معطيات القدرة على استئناف الفعل الحضاري على نَسَقٍ قانوني سليم من الابتذال الفكري أو الاختلال المنهجي.

ثم تتابعت من بعد ذلك الكتابات التي تنوعت ما بين مؤلفات فكرية وأخرى دراسات أكاديمية ومقالات تفاوتت كَمِّياً ونوعياً، التي جاءت خيوطاً مغزولة بغرض تقديم صورة متكاملة عن موضوع السنن، وتحاول استبطان السنن، الإلهية والربوبية، واستنباط قوانينها الجزئية، وتقصيد رسالتها في المجال الاستخلافي العام.

وبطبيعة الحال، جعلت الدراسات الإسلامية والأعمال الفكرية تشتبك مع الفكر السنني بصورة أو بأخرى خلال السنين التالية، وفي مختلف البيئات الفكرية والأكاديمية والثقافية العامة، حتى لقد صار موضوع السنن، من فرط اهتمام الباحثين فيه وشغفهم به، أحد المسارات التي صارت مجالاً للتداول الثقافي العام، فتألفت الكتب وتُبُوِّبَتْ المقالات، وقدمت الخطط البحثية في حقل الدراسات الأكاديمية العليا؛ بغرض ملء الفراغات الحادثة بحقل الدراسات المعنية بموضوع السنن؛ وبرغم ذلك، سنلاحظ بعض العشوائية التي تتخلل تلك الجهود، وقد يكون ثمة عُذرٌ في ذلك لأسباب ثلاثة:

أولها: عدم وجود خريطة طريق تبين المطروق من الموضوعات وطبيعة هذا التطرق وخلاصته، وذلك حتى يتسنى للجهود التالية البناء بوعي على سوابقها.

ثانيها: الافتقار إلى المنهجيات التأسيسية والقواعد التي تنضبط بها مسيرة النشاط الفكري والأكاديمي حتى تخلص في إحدى مراحلها إلى كينونة علمية سننية مستقلة بذاتها، متكاملة الأركان والخصائص والسمات واضحة الرؤى والوسائل والأهداف والغايات.

ثالثها: افتقاد الربط المنهجي العملي بين فقه التوحيد وفقه السنن.

ولا يسعنا في ختمة المقال سوى التنويه بأنَّ تكامل فقه السنن مع فقه التوحيد وفقه الترشيد والمقاربة والتسديد هو ما يتوِّج العقلانية المؤمنة بتخليق معطيات القدرة على استئناف الفعل الحضاري من جديد.■

كان للتوحيد مظهره في استقلال القضاء وقوة العلماء فأصول التشريع لله وحده

التجارب الحضارية الإسلامية الناجحة تاريخياً.. هل تتكرر؟!

لا يخطئ المتأمل للمسيرة الحضارية للأمة تلك الروح الجامعة التي تسري في أوصالها، وتمنحها تميزها وخصوصيتها، نعني روح التوحيد الإسلامي الخالص، وهي تصوغ بناء الفرد والجماعة والأمة على السواء، عبر الزمان والمكان على حد سواء؛ ولذا، فإننا حين نستعرض شيئاً من منجزات الحضارة الإسلامية لا نحسن فهم دواعيها وعطاياها إلا باستبطان تلك الروح الناطقة والمعبرة؛ التي شكلت دافعاً للاعتزاز بالدور الحضاري الرسالي الذي نهضت به الأمة الناشئة.

أ.د. حمـــدي شاهيـــن

لقد ترك التوحيد أثره على الفكر الأوروبي منذ وقت مبكر، ففي العصر الأموي ظهر بين رجال اللاهوت الكنسي البيزنطي من ينكر عبادة الصور أو الأيقونات، وهو اتجاه قاده الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث (٦٧٥ – ٧٤١م)، وكان لسانه طليقاً باللغة العربية، فلا عجب أن عظم التأثير الإسلامي عليه، وشحذ همته حتى خاض حرباً دامية ضد من يقدسون الصور والآثار الكنسية؛ مما أدى إلى تداعيات زادت من الانقسام بين الكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية، وكنيسة روما الكاثوليكية.

وسيتطور الأمر في الغرب الأوروبي حتى تظهر دعوات تنكر وساطة القساوسة بين الله والناس، وانفرادهم بتفسير الأناجيل، مما مهد لظهور البروتستانتية الغربية فيما بعد، ثم فصل الدين عن الدولة نتيجة عوامل شتى.

وفي المجال الحضاري، ينبغي الانتباه إلى تأثير المشاريع التكوينية الأولى للدولة الإسلامية، لأنها أصدق في التعبير عن روحها، فقد شكل مشروع الدولة الأولى مستودعاً لتجارب حضارية ملهمة، منها تجربة الانفتاح تجاه الآخر للإفادة مما لديه من موروث إنساني متراكم، وقد بدأ ذلك في عصر النبوة باقتباس بعض وسائل الحرب مثل حفر الخندق.

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تم اقتباس الدواوين في إدارة الدولة، والملحوظ هنا أن الأخذ كان بقدر الحاجة، وفيما لا يمس هوية الأمة، وأنه كان توظيفاً لأدوات ووسائل ضمن منظومة إسلامية خالصة، وحين افتقدت الأمة هذه الضوابط أساء الأخذ أكثر مما أفاد، كما حدث في ترجمة التراث الفكري للأمم المخالفة، فأسهمت ترجمات الفكر اليوناني بعد قليل في الانشغال بمسائل فلسفية وكلامية أصبح كثير منها عبئاً على التصورات الإسلامية.

وكان للتوحيد مظهره في استقلال القضاء، وتنامي قوة القضاة والعلماء، فأصول التشريع لله وحده، حيث لا يستأثر به فرد أو جماعة تميل به لتحقيق مصالحها، بل كان من القضاة والعلماء من يفرضون إرادة الحق على السلاطين والأمراء، ولم يكن التشريع الإسلامي غائباً عن التأثير في الفكر الأوروبي، فلما عاد نابليون إلى فرنسا عام ١٨٠١م من غزوه مصر أمر بترجمة أحد كتب الفقه المالكي الذي حمله معه إلى اللغة الفرنسية؛ مما كان نواة القانون المدني الفرنسي، ومن هنا جاء التشابه بين القانون الفرنسي والفقه المالكي.

ويتعمق بعض الباحثين في الأمر ليقول: إن بدايته كانت على يد القس جربير (البابا سلفستر الثاني فيما بعد) الذي تلقى العلم على أيدي المسلمين في الأندلس وشمال أفريقيا، وأتقن العربية، وتعرف على الفقه المالكي جيداً، وحمل معه بعض كتبه، فلما عاد إلى بلاده وتولى البابوية

التشريع الإسلامي لم يكن غائباً عن التأثير في الفكر الأوروبي بعصر النهضة

نابليون ترجم كتابًا للفقه المالكي أخذه من مصر ليكون نواة للقانون الفرنسي

كتب لهم ما أسماه القانون الروماني الجديد، ولم يفصح عن أصله الإسلامي.

الروح التوحيدية

وشكلت الروح التوحيدية لبَّ فنون العمارة الإسلامية، التي تعانق مآذن مساجدها السماء لتصل بها قلوب أهل الأرض، وتجمع قبابها المؤمنين تحتها في أخوّة حانية، وتتخذ عمارة البلدان فيها من المسجد قلبها النابض، فتتفرع شرايينه شوارع وأزقة، لا يحول بينها وبين القلب حائل، وبينما كانت شوارع قرطبة تضاء بالقناديل ليلاً كانت المدن الأوروبية تغط في سكون القبور وظلمتها، فلما انهارت قيم الحضارة الإسلامية في عصرنا أصبحت مدننا مزقاً من نماذج حضارية شتى، تعزز غربتنا، وتغتال روحانية مدينتنا.

ولما أتيح للغرب الأوروبي أن يقترب من المجتمع الإسلامي ونظمه السياسية إبان الحروب الصليبية؛ تركت القيم الإسلامية أثرها عليه، فغزا صلاح الدين -بما اشتهر عنه من تسامح وعفو- قلوب معاصريه، وظهر فيهم مثل فريدريك الثاني، إمبراطور الغرب الذي نشأ في صقلية، وتعرف على حضارة المسلمين التي خلفوها أثناء حكمهم لها، وأتقن اللغة العربية ضمن ما أتقن من لغات عصره، واشتد إعجابه بالمسلمين حتى اتهمه خصومه من المنافسين ورجال الدين بأنه نصف مسلم ونصف مسيحي.

وما كادت الحروب الصليبية تضع أوزارها حتى كان الغرب الأوروبي يبدأ معالم صحوته، فتتقلص طبقة أقنان الأرض، وتزداد الحريات السياسية، وتتعاظم الجرأة على البابوية وسلطان الكنيسة، وتزداد الانتقادات ضد استبداد الأباطرة، وما زالت تلك التأثيرات تتعاظم، ضمن عوامل أخرى، حتى أنتجت عصر النهضة الأوروبية.

كانت المشاركة الشعبية للمنظومة السياسية الإسلامية في إدارة أمور الأمة، وتحمل تبعاتها، تشكل نموذجاً أخاذاً لآخرين، جديراً بالاحتذاء، ففي الوقت الذي كان الأباطرة والكنائس الغربية يبدعون في وسائل ابتزاز الرعية، وفرض الضرائب عليهم، وتسخير آلاف العبيد في زراعة أراضي الكنيسة الواسعة؛ كان كثير من أثرياء المسلمين يبادرون إلى تخصيص الأوقاف للرعاية الاجتماعية في صورها المتعددة، وبادر الحكام والأمراء إلى دعمه، وعظمت الأوقاف التي خصصها نور الدين محمود، وصلاح الدين وأقاربه من الأمراء والأميرات، واتجه كثير منها إلى الجوانب التعليمية لمواجهة نفوذ المذهب الشيعي الذي حكم مصر عقوداً قبلهم.

وما زالت الأوقاف تتعاظم، حتى كان في دمشق وحدها في العصر المملوكي زهاء ٤٠٠ مدرسة وقفية، وتنوعت الأوقاف فكان بعضها مخصصاً لرعاية اللقطاء واليتامى، والمقعدين والعميان والعجزة، وبعضها لتحسين أحوال المساجين، وتزويج الشباب، بل رُصدت أوقاف خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقاف لرعي الحيوانات المُسنة العاجزة.

بينما كان من النكبات التي واجهها العالم الإسلامي في عصرنا الحديث أن سعت الحكومات إلى السيطرة على أوقاف المسلمين وتأميمها، والتصدي لمحاولات أبرار الأمة للمشاركة في العمل المجتمعي، في حين نجد نقيض ذلك في الغرب، ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ٧٥ ألف مؤسسة خيرية مانحة، بحسب إحصائية عام ٢٠٠٨م، تقدم منحاً تقدر بـ٦٥٦ مليار دولار، يذهب أكثر من خُمسها للمؤسسات التعليمية، فإذا أضفنا المنح المقدمة إلى التطوير التكنولوجي العلمي، فإن القيمة ترتفع إلى ما يقارب الثلث، وبعض أشهر الجامعات الأمريكية هارفارد أسسها القس البروتستانتي جون هارفارد عام ١٦٣٦م، وبلغت الأوقاف المخصصة لها في عام ٢٠٠٧م أكثر من ٣٤ مليار دولار.

بناء عقلي محكم

لقد أسس الإسلام نهضته العلمية الباذخة على أساس من بناء عقلي محكم، ينفي عن نفسه الأوهام والخرافات والعواطف والأهواء، ويأبى الجمود والتقليد، ويجل أهل الخبرة والمعرفة

شوارع قرطبة كانت تضاء بالقناديل بينما كانت المدن الأوروبية تغط في الظلام

كان التعليم مجانياً للجميع يعزز هوية الأمة ويحمل رسالتها لغيرها من الأمم

في كل أمر، ولا يقبل دعوى بغير دليل، ويجعل التصديق ناتج البرهان، والشواهد من القرآن والسُّنة متعاضدة في ذلك الباب.

وعلى ذلك البناء العقلي قامت المؤسسات العلمية الكبرى، ونشأت أجيال من العلماء الذين ما زالت إنجازاتهم موضع احترام في التاريخ العلمي إلى اليوم، وكان التعليم مجانياً للجميع، يعزز هوية الأمة، ويحمل رسالتها لغيرها، وفي تلك المؤسسات تتلمذ علماء الغرب عقوداً من الزمن، وتلقى رجاله النبهاء العلم في معابر التواصل الحضاري في صقلية والأندلس وغيرهما.

ولما دخل المسلمون عصر التيه الحضاري أصبح مستهدفاً من الغرب، يستغوي علماءه ونبهاءه لينضموا إلى صناعة الحضارة الغربية، ويصبحوا بعد حين رسله إلى عالم المسلمين، إلا من رحم ربي، فتم استنزاف الكفاءات الإسلامية لصالح الحضارة المنتصرة، حتى توضح بعض الدراسات أن نحو ٧٥٪ من الكفاءات العِلمية العربية مُهاجرة إلى ٣ دول غربية، هي: بريطانيا وأمريكا وكندا، وهو نهج اختطه نابليون بونابرت حين أمر في رسالته إلى الجنرال كليبر -نائبه على مصر- بتجهيز ٥٠٠ إلى ٦٠٠ من المماليك، فإن لم يجد العدد كافياً فليكونوا من العرب ومشايخ البلدان؛ لتسفيرهم إلى فرنسا، فيظلوا هناك سنة أو سنتين، ثم يعودوا إلى مصر فيكون لفرنسا منهم «حزبٌ يضم إليهم غيرهم».

وهكذا نجد أن كثيراً من مشاريع حضارتنا ما يزال صالحاً للأخذ به، لكن الحقيقة أن تأخرنا الحضاري يلقي بظلال كثيفة من الوهن الذي يلحق بتاريخ الحضارة وصلاحيتها، والأمر مرتهن بأن تستعيد الأمة عافيتها لتقوم بمهمة الاستخلاف والهداية للعالمين.■

الشورى سر نهضة الأمم وقوتها وازدهارها وما هوى بالدول إلى أسفل سافلين إلا الاستبداد وحكم الفرد

منهجية الإصلاح السياسي في الإسلام

أثبتت التجربة أن الفصل بين السلطات ضرورة لازمة حتى تتمكن أجهزة ومؤسسات الدولة من القيام بدورها

د. حلمـــي الفقـــي

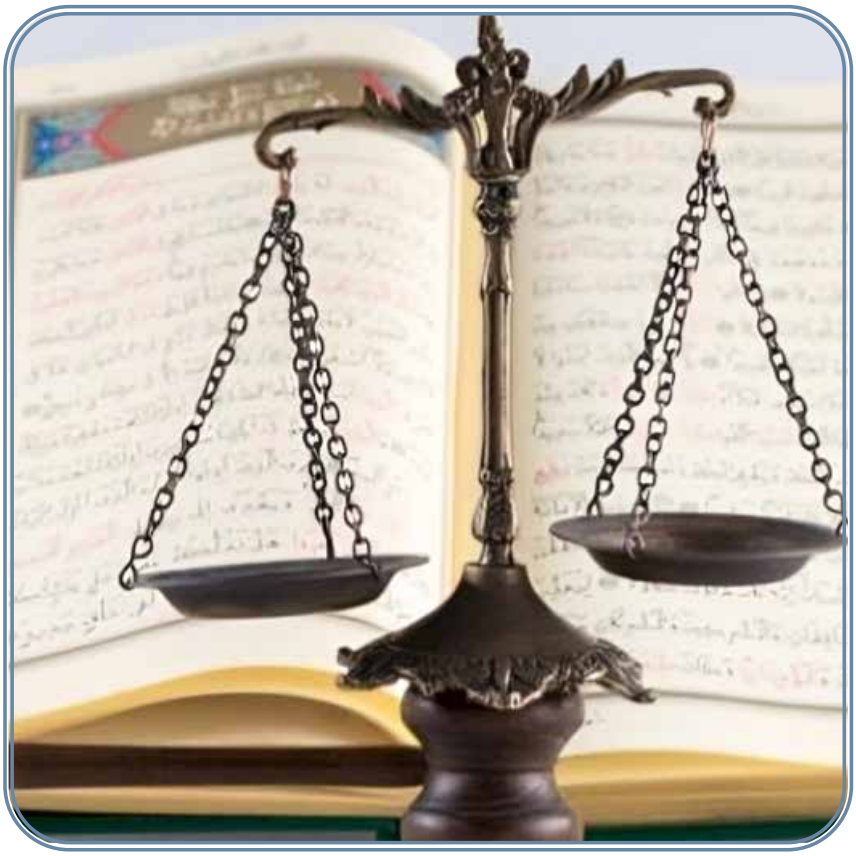

يهدف المشروع الإسلامي إلى أن يعم العالم ٣ قيم أساسية، هي: الحرية، والعدل، والسلام.

فالحرية هتف بها القرآن من قديم الزمان، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩).

وآيات القرآن الكريم التي دوت في جنبات الوجود معلنة الحرية فريضة إسلامية كثيرة شهيرة، فرب العالمين سبحانه وتعالى أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم حاملاً لواء الحرية لكل الإنسانية، ومحارباً للظلم في كل أقطار الدنيا، ورافعاً راية العدل بين البشر جميعاً، مسلمين وغير مسلمين، ومن روائع هذا الدين أنه يحارب الظالم ويقف مع المظلوم مهما كان دينه.

وقد أفتى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أن للمسلم أن يدافع عن غير المسلم، حتى وإن كان الجاني مسلماً، فإن قُتل فهو شهيد، فهل رأت الدنيا كلها ديناً يحارب أبناءه الظالمين من أجل أعدائه المظلومين؟! وليس في الإسلام ما يعرف بمعاداة السامية، أو معاداة الإسلام، فمعاداة السامية إرهاب فكري يمارسه الغرب ضد البشر جميعاً حتى يومنا هذا، ولن يذوق العالم طعم الحرية إلا في ظلال هذا الدين الحنيف، فما منهج الإصلاح السياسي في هذا الدين؟

السياسة

يقول ابن مفلح في كتابه «الفروع»: "وأكثر السلاطين يعملون بأهوائهم وآرائهم، لا بالعلم، ويسمون ذلك سياسة، والسياسة هي الشريعة".

وفي قصة الحضارة يقول ويل ديورانت: "السياسة فن المواءمة بين أهداف الأقليات المتضاربة، وصالح الجماعة".

ومن أفضل ما قيل في تعريف السياسة ما ذهب إليه ابن عقيل في كتابه «الفنون»: "السياسة ما كان فعلاً يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه رسول، ولا نزل به وحي، فأي طريق استخرج به العدل فهو من الدين".

فالإسلام يفتح الباب واسعاً أمام كل اجتهاد وابتكار في عالم الأفكار، ويوجب على المسلمين الأخذ بأحسن وأفضل ما توصل إليه العقل البشري في الدنيا كلها، بشرط واحد فقط؛ هو ألا يتعارض مع الدين، وهذا الشرط هو ما كان ينقص تعريف ابن عقيل للسياسة.

وللإصلاح السياسي في الإسلام ٥ أركان أو أسس، هي: الشورى، الفصل بين السلطات، التدرج في الخطوات، البعد عن مواطن الخلاف، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولاً: الشورى:

الشورى سر نهضة الأمم وقوتها وازدهارها، وما هوى بالأمم، وذهب بالدول إلى أسفل سافلين إلا الاستبداد وحكم الفرد، وما ارتقى بالدول ورفع شأنها إلا الشورى وتداول السلطة.

والشورى في الإسلام فريضة لازمة، يجب على الأمة القيام بها، ويحرم التفريط

لا بد في الإصلاح السياسي وغيره من مجالات الإصلاح من التدرج في الخطوات والتروّي والتمهل والترفق والتعقل

الإسلام أحرص ما يكون على وحدة الصف ولمّ الشمل فالخلاف فُرقة والفرقة عذاب ودمار

فيها، في كل زمان ومكان، في الدول المتحضرة والمتخلفة على السواء، وزعم البعض أن هناك أمماً متخلفة، لا تصلح للتجربة الديمقراطية، زعم فاسد، لا يهدف إلا لتبرير الاستبداد والدكتاتورية وحكم الفرد، فقد نزل قول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩) عقب هزيمة «أُحد»، وكان من أحد أسباب الهزيمة إعمال مبدأ الشورى في الأمة! وبالرغم من ذلك نزل الأمر الإلهي بوجوب إعمال الشورى حتى وإن أدت إلى ما لا يُحمد عقباه.

ثانياً: الفصل بين السلطات:

«الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»، وقد أثبتت التجربة أن الفصل بين السلطات ضرورة لازمة، وأمر لا بد منه حتى تتمكن أجهزة ومؤسسات الدولة من القيام بالدور المطلوب منها على أتم وجه، وعدم الفصل بين السلطات الثلاث؛ التنفيذية والتشريعية والقضائية، يؤدي إلى تغول السلطة التنفيذية على السلطتين القضائية والتشريعية، وهذا هو رأس الفساد، وعدم استقلال القضاء يعني الظلم، وضياع الحقوق، وتكون حياة البشر كحياة الحيوان في الغاب، يأكل القوي الضعيف بلا رحمة؛ مما يؤدي إلى الدمار الشامل في كل مجالات الحياة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «رسالة الحسبة»: الجزاء في الدنيا متفق عليه أهل الأرض، فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يقال: «الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة».

ولما سمع عمرو بن العاص المستوردَ بن شدادَ يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس»، قال له عمرو: أبصر ما تقول؟ فقال المستورد: أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمرو: لئن قلت ذلك؛ إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك. (رواه مسلم).

ثالثاً: التدرج في الخطوات:

وهذا ما سار عليه القرآن الكريم في كثير الأمور، منها تحريم الخمر مثلاً، ولا بد في الإصلاح السياسي وغيره من مجالات الإصلاح من السير برفق، فما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما كان العنف في شيء إلا شانه، فلا بد في الإصلاح من التروّي والتمهل والترفق والتعقل، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

رابعاً: البعد عن مواطن الخلاف:

الخلاف فُرقة، والفرقة عذاب ودمار، والإسلام أحرص ما يكون على وحدة الصف، ولمّ الشمل، وجمع الكلمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦).

وكان الصحابة أحرص الناس على وحدة الكلمة، والبعد عن مواطن الخلاف، ويدل على ذلك ما أخرجه البخاريّ عن عَلِيٍّ رضي الله عنه، قال: "اقْضُوا كَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ، فَإِنِّي أَكْرَهُ الِاخْتِلَافَ حَتَّى يَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ، أَوْ أَمُوتَ كَمَا مَاتَ أَصْحَابِي".

فالمصلح يتحسس مواضع الاتفاق فيسعى إليها، ويسوق الجماهير إلى لزومها، والتمسك بها، ويفر من مواطن الخلاف فراره من المجذوم، بل فراره من أسد جائع، حتى يتمكن من السير بالأمة إلى ما يقيم أمرها، ويصلح شأنها، ويرتقي بكل أحوالها.

خامساً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هذا أساس الإصلاح الذي يشجع الفضيلة، ويحارب الرذيلة، ويقوّم الخطأ، ويربي الوازع الديني داخل النفس الإنسانية، ليجعل منها حارساً أميناً على قيم الإسلام وتعاليم الإيمان، عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعونه ولا يستجيب لكم» (رواه أحمد، والترمذي).■

المشروع الإسلامي.. مقـومـات وفـــرص

مستقبل المشروع الإسلامي مزهر وعوامل النجاح تحيط بجميع أطرافه

.. ويتحقق بثورة على المناهج القديمة والمسميات الفارغة والأساليب الفاشلة

أ.د. جمال عبدالستار

لا يخفى على منصف أن الحركة الإسلامية ليست هي تلك الرموز المعروفة، أو الرتب التنظيمية والألقاب المشهورة فحسب، كما أن الحركة ليست هي تلك الرموز المتنازعة هنا وهناك، أو المختلفة أو المنشقة أو الغائبة أو الحاضرة، لا القديمة التليدة، ولا الوليدة الجديدة.

وليست الحركة الإسلامية، كذلك، هي تلك الجماعة بصفة خاصة وأفرادها المنتسبين لها، أو غيرها من التيارات العاملة في الساحة الإسلامية؛ بل هي تيار عريض في الأمة، قد لا ينتسبون لتيار بعينه، أو لجماعة بذاتها، ولكن تملكتهم عاطفة نحو دينهم صادقة، فأصبحوا يتوقون إلى يوم نصره، وساعة التمكين لمنهجه وقيمه، فاعتبروا أنفسهم جنوداً له، يتطلعون إلى من يأخذ بيدهم إلى تحقيق الأمل، ومن يستثمر طاقاتهم وإمكاناتهم في البذل والعمل.

منهم رجال لا يعرفهم الناس، ولكن يقيناً يعلمهم رب الناس، ومنهم نساء صادقات مباركات، لا يظهرن في المحافل، ولا تعرفهن الأندية ووسائل التواصل، ولكنهن كريمات على الله تعالى، حيث رزقهن محبة دينه، والارتباط بكتابه، والاقتداء بهدي نبيه صلى الله عليه وسلم.

إنما الحركة الإسلامية، أو إن شئت قلت: المشروع الإسلامي، روح تسري في جسد الأمة، تتمثل في شباب يتوق إلى مرجعية الإسلام، والتحاكم الى شريعة الرحمن، وتحقيق وحدة الأمة وتطهير مقدساتها ورفع رايتها، على استعداد لبذل المُهج من أجل تلك الغاية السامقة، وتتمثل الحركة في نساء طيبات طاهرات يحملن عاطفة الإسلام ويعملن ليوم نصرته، ويحلمن بيوم رفعته، ويبذلن الغالي والرخيص في سبيل رفع رايته..

إن الحركة الإسلامية هي تلك القلوب الطيبة الممتلئة عاطفة للإسلام وأهله، التي تشرئب أعناقهم لذلك اليوم الذي تعلو فيه راية الإسلام، وكلمة التوحيد، ونور الهداية الربانية، وتتجسد الحركة في ثلة مباركة من رجالات الأمة ونسائها تربطهم رابطة الأخوة الإيمانية العميقة مهما اختلفت اللغات وتباينت الاهتمامات يتطلعون الى إقامة الدين ونشر رسالته في العالمين.

مستقبل المشروع الإسلامي

لذا، فإن مستقبل المشروع الإسلامي مزهر، وعوامل النجاح تحيط بجميع أطرافه، وعلى عكس ما يتصور كثير من الباحثين والمتابعين، فإن الظروف الآنية، والحالة الإسلامية الراهنة، تفتح للمشروع الإسلامي أبواب انطلاق غير مسبوقة، وفرصة ميلاد،

وساحات عمل غير مطروقة.

فقد سقطت الكثير من الأقنعة عن بعض الأنظمة التي كانت تصارعه يوماً ما، وتحاول أن تنافسه بادعاء حمل رسالة الإسلام، وحراسة العقيدة، والتحقق بالقيم، فأضحت سراباً، بل خراباً! حيث ظهر نفاقها يوم أن انقلبت على كل مظاهر الإسلام، وحاربت قيمه، وتعدت على علمائه ودعاته، وأغلقت مؤسساته، واصطفت في منظومة أعدائه، فظهر للناس زيفها، وسقطت في العالمين مكانتها، فاتسع الميدان لينادي أهل الإيمان، أن اصطفوا، وأروا الله من أنفسكم خيراً.

سقطت كذلك المنظمات الدولية التي ملأت الأجواء حديثاً عن الحرية والديمقراطية والقيم الغربية وحقوق الإنسان والحيوان، وحقوق الطفل والمرأة، فافتتن بها الكثير من شباب الأمة وفتياتها، وتأثروا بالدعايات والدعوات، وظنوا أن هذا هو النموذج الذي يجب أن يحتذى، وهذا هو المنهج الذي يجب أن يُنتسب إليه، فإذا بـ«طوفان الأقصى» تعرّي كل تلك الأنظمة والمؤسسات الدولية والمحلية، ليظهر للقاصي والداني أنها أبعد ما تكون عن القيم، وأخطر ما يكون على الإنسانية، وأجرم ما يكون بحق المرأة والطفل، فإذا بالشباب حتى من غير المسلمين يعودون مرة أخرى ليسألوا عن قيم الإسلام، ورحابة تشريعاته، وصدق دعوته، واتساع رحمته، ليجد المشروع الإسلامي نفسه أمام مد جديد، وفتح عجيب، وفرصة سانحة لجهد بنّاء، ونجاح مبهر، في إقامة الدين وحمل رسالة الإسلام.

ومن الفرص كذلك أن سقطت تلك الحركات التي كانت تزعم الوصاية على فهم الكتاب والسُّنة، وتزعم أنها على خطى الحبيب في كل شأن من شؤون حياتها، فإذا بها مع الأحداث تتراجع، بل تسقط وتتداعى، فانحازت للباطل بمسمياته المتنوعة، وكفرت بكثير من شعاراتها، وخالفت الكثير من مبادئها، وأفتت بعكس ما اعتقدت وأشاعت، ولم يكن لها من شغل إلا أن تهاجم المشروع الإسلامي؛ قيمه ومناهجه ورموزه، وتحاول تعطيل مسيرته بمحاولة الدخول معه في معارك فكرية تافهة، أو مظاهر عبادية لا مضمون لها، أو منازعات سياسية لا طائل من ورائها، فإذا بتلك الجحافل من الأسماء والمسميات والإمكانات يظهر للجميع كم هي صنيعة أنظمة البغي والاستبداد، وحجم خيانتها للمبادئ والأخلاق، ووثيق علاقتها وارتباطها وولائها لمنظومات الطغيان والفحش والإلحاد.

لتعود الساحة أمام المشروع الإسلامي مترامية الأطراف، تنادي المخلصين، وتفتح أبوابها للصادقين.

وغالباً ما يرى الناس أن كثرة الزبد وارتفاعه دلالة على ظهور الباطل وتمكنه، وغياب الحق وتأخره، إلا أن الحقيقة القرآنية تؤكد أن ظهور الزبد يدل على ارتفاع منسوب الخير، فكلما امتلأت أودية الخير؛ طفا الزبد على السطح، ليتأهب للذهاب والاختفاء، ويتأهل الحق للانطلاق والاتساع، وعموم النفع والارتقاء، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٧).

كذلك تراجعت الثقة في المؤسسات الدينية الرسمية، التي كانت في أغلب أحوالها تعارض المشروع الإسلامي، وتزعم أنها الأمينة عليه، والقائمة به، وأنها الأجدر بحمل رسالة الإسلام، وكانت في الوقت نفسه ترى أن جهود الحركة الإسلامية تخصم من رصيدها، وتقزم من مكانتها، وتحد من حركتها، فأضمرت وأظهرت العداء، ومكرت بها كل مكر، وتعاونت مع كل جبار وفاجر للقضاء على حملة المشروع الإسلامي، ولكن قوانين القرآن تأبى نجاح سعي المبطلين، فقد قال الله تعالى في أحد قوانين القرآن الكريم: ﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ (الإسراء: ٨١)، فالباطل لم يُكتب له طول البقاء، بل سرعان ما يكشف الله تعالى النفوس المدخولة، والقلوب المريضة، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ (محمد: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

متطلبات المرحلة

من أجل ذلك يتأكد لنا أن المشروع الإسلامي يمتلك فرصة ذهبية ليعود لقيادة الميدان، والانطلاق بالأمة نحو وعد ربها بالريادة والتمكين، ولكن ذلك لا يتحقق إلا إذا قام المنتسبون للمشروع الإسلامي بثورة على كثير من المناهج القديمة، والوسائل العتيقة، والمسميات الفارغة، والأساليب الفاشلة.

لا بد من مراجعات أمينة، وإحداث تغيير حقيقي في النفوس والأنظمة والمعطيات والأهداف، بل إن الأمة بحاجة إلى ضبط مفهوم المشروع الإسلامي وحدوده وميدانه وغايته ومنهجيته، وكل ذلك لا يمكن تحقيقه إلا إذا تمت إعادة طرح الثوابت والمتغيرات على نحو شرعي متين، وبمنهجية عقدية قرآنية راسخة.

إن سنن الله لا تحابي أحداً، وقد أرسى القرآن قانون التغيير بوضوح لا يحتاج إلى الكثير من الشروح، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١).

إن دين الله تعالى لا يحتاج إلى أحد من الناس، ولكننا من نحتاج إليه، فإذا لم نأخذ بالأسباب المتاحة، ونراعي السنن الربانية، ونَصْدُق الله تعالى في حمل رسالته وإقامة دينه، فإن سُنة الله القائمة حاضرة لا تغيب، قادمة لا تتأخر، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨).■

الإنسان هو أهم مستهدفات المشروع الإسلامي من حيث تصحيح اعتقاده، وتقويم سلوكه، وتهذيب أخلاقه، وترقية حياته، ولا يتم ذلك إلا بالإنسان نفسه؛ وهو ما يفرض وجود رؤية لإدارة الموارد البشرية والطبيعية، وإنشاء تخصصات تتنوع فيها الخبرات وتتكامل، وتكون قادرة على النهوض بالعبء الكبير في إقامة الدين وإصلاح الدنيا.

التخصص في المشروع الإسلامي

مصطفى عاشور
كاتب مهتم بالشأن الثقافي

إن الرؤية الإسلامية يتكامل فيها النظر للآخرة والنظر للدنيا، فالدنيا ما هي إلا جسر ومزرعة للآخرة؛ لذا لا فرق بين العلوم والتخصصات، ما دام القصد والنية خالصين لله تعالى، فعلوم الدنيا والتمكن من دقائقها والإمساك بمفاتيحها وصولاً إلى تكوين المَلَكة والإبداع نوع من الفرائض الدينية، تسمى بـ«فروض الكفاية»، تلك التي إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين، وقد تكون لبعض الناس فرض العين، لقدرته على النهوض بها.

هناك رؤية محدودة تقصر فروض الكفاية على صلاة الجنائز، لكن المفهوم أوسع من ذلك، ويشمل وجوب تخصص نفر من المسلمين في العلوم والمهارات المختلفة وإتقانها إتقاناً تاماً لتحقيق الكفاية في هذا المنحى، وتلك رؤية ملازمة للإسلام منذ أيامه الأولى، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يصطحب معه أبا بكر الصديق رضي الله عنه أثناء طوافه على وفود القبائل التي جاءت للحج، وكانت ميزة الصِّدِّيق تتمثل في المعرفة التامة بأنساب العرب، فكان أعرف بأنساب القبائل من أبناء القبائل أنفسهم، حيث كان متخصصاً بارعاً في الأنساب لا يضاهيه أحد.

وقد استفاد النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الميزة وهذا التخصص، عندما أمر الشاعر الكبير حسان بن ثابت أن يجلس مع أبي بكر قبل أن يبدأ في هجاء قريش، وقال له، كما جاء في صحيح مسلم: «لا تعجل، إن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتى يخلص لك نسبي».

وتشير كتب السِّيَر والرجال إلى أن التخصص عرف طريقه للصحابة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعلم الناس بالسوق وبالتجارة والاقتصاد، وكان يقول: «من أراد أن يسأل عن المال فليأتني، إن الله جعلني خازناً وقاسماً»، وكان عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه أعلم بالقضاء، وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه كاتب الوحي، ويتقن السريانية ويكتب بها، وكان أُبَيُّ بن كعب رضي الله عنه أعلم بقراءة القرآن، وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه أعلم الناس بالحلال والحرام، وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه أعلم الناس بالشؤون العسكرية.

ونقف هنا عند ملمح مهم في احترم

الصحابة الأوائل للتخصص، والنظر إلى أهمية الاستفادة من البارعين فيه، فقد كتب الخليفة أبو بكر الصديق إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إبان فتوح الشام، رسالة بإسناد قيادة الجيش إلى خالد بن الوليد، رغم أن أبا عبيدة هو الأسبق بالإسلام، جاء في الرسالة: «أما بعد، فقد وليت خالداً قتال العدو في الشام، فلا تخالفه واسمع له وأطع، فإني وليته عليك وأنا أعلم أنك خير منه وأفضل ديناً، ولكن ظننت أن له فطنة في الحرب ليست لك، أراد الله بنا وبك سبيل الرشاد».

وقد تحدث فقهاء الإسلام ومفكروه عن أهمية وضرورة التخصص، وأن تُحقق التخصصات اكتفاء وكفاية للمجتمع المسلم، فنجد الإمام القرطبي، في تفسيره، يجعل الزراعة من فروض الكفاية، ويوجب على الحاكم إجبار الناس عليها لتحقيق الكفاية، فيقول: «والزراعة من فروض الكفاية، فيجب على الإمام أن يجبر الناس عليها، وما كان في معناها، من غرس الأشجار»؛ أي لا بد من إدارة الموارد البشرية والطبيعية بشكل فعال يتيح استثمارها وتنميتها لتحقق الكفاية.

وكان العلَّامة الشافعي بدر الدين محمد الزركشي يرى أن تصنيف الكتب من فروض الكفاية، وأنه لا بد من تخصص البعض في التأليف، معتبراً إياها من فروض الكفاية، فيقول: «تصنيف الكتب لمن منحه الله فهماً واطلاعاً، ولن تزال هذه الأمة، مع قصر أعمارها في ازدياد وتَرقٍ في المواهب، والعلم لا يحل كتمه، فلو ترك التصنيف؛ لضيع العلم على الناس»، لذا كان الجاحظ يقول: «القلم أبقى أثراً».

وتحدث الإمام أبو حامد الغزالي، في كتابه «إحياء علوم الدين»، عن أهمية التخصص في الصناعات والتجارات المختلفة، فيقول في باب «آداب الكسب والمعاش»: «أن يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات، فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش، وهلك أكثر الخلق،

وجوب تخصص نفر من المسلمين في العلوم والمهارات المختلفة وإتقانها لتحقيق الكفاية

التخصص البحثي الدقيق يساهم في القفزات العلمية فقد نُشر ٦٤ مليون بحث منذ ١٩٩٦م

فانتظام أمر الكل بتعاون الكل، وتكفل كل فريق بعمل، ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا»، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة»؛ أي اختلاف همهم في الصناعات والحرف.

وكتب سيد قطب عام ١٩٥٢م، في كتابه «معركة الإسلام والرأسمالية»، مؤكداً تعميق الخبرات، الاستفادة من الموارد، وأن ذلك من صميم الإسلام، لأن واقع الإسلام كأصوله النظرية لا يعترف إلا بالكفاية الخاصة فيقول: «إن حكم الإسلام لن يدع الدراويش يتدروشون، ولا مشايخ الطرق يعيشون على النذور، إن الإسلام يطالب كل فرد أن يعمل عملاً ليأجره عليه أجراً، فلا أجر بلا جهد، ولا جزاء بلا عمل، والصلوات والدعوات عبادة شخصية وليست عملاً اجتماعياً».

ثم نراه في رسالته «أفراح الروح» يقول: «نحن في حاجة ملحة إلى المتخصصين في كل فرع من فروع المعارف الإنسانية، أولئك الذين يتخذون من معاملهم ومكاتبهم صوامع وأديرة، ويهبون حياتهم للفرع الذي تخصصوا فيه، لا بشعور التضحية فحسب؛ بل بشعور اللذة كذلك، شعور العابد الذي يهب روحه لإلهه وهو فرحان».

أما الشيخ محمد الغزالي، في كتابه «الجانب العاطفي من الإسلام» فيقول: «إن مهنة صيدلي، أو مهنة طباع، فرائض على المجتمع الإسلامي كالصلاة والصيام سواء بسواء، غاية ما هناك من فرق أن الصلاة والصيام لا يتخلف عن أدائها أحد، أما فروض الكفاية فيختار لها من يصلح لها، فليس الإحسان تجويد جزء من العبادات وإهمال أجزاء أخرى قد تكون أخطر وأجل، وإنما الإحسان أداء فروض العين وفروض الكفاية، وتناول شؤون الدنيا وشؤون الآخرة معاً، هو إشراب الحياة الإنسانية حقائق الأمر الإلهي، وإضفاء صبغة السماء على أحوال الأرض، هو ترقية كل عمل بذكر الله فيه، لا الفرار من الأعمال بدعوى ذكر الله في العراء».

التخصص سبيل للانطلاق

وعالمياً، يُنشر أكثر من مليوني ونصف مليون مقال ودراسة علمية متخصصة سنوياً، استحوذت الصين على ٢١% منها، وهذا ما يؤكد أن التخصص البحثي الدقيق يساهم في القفزات العلمية، وتشير الإحصاءات إلى أنه تم نشر حوالي ٦٤ مليون بحث علمي متخصص منذ عام ١٩٩٦م حتى الآن، وحسب الإحصاءات، فإن عدد المجلات العلمية المتخصصة تقدر بـ٤٦٧٣٦ مجلة أكاديمية، تحتل اللغة الإنجليزية ٧٥% منها، ويوجد في بريطانيا ٥٨٥٦ مجلة، وفي الولايات المتحدة ٥٧١٢ مجلة، وفي إيران ٢٢٣ مجلة، وفي تركيا ٢٠٩ مجلة؛ أي نسبة المسلمين ضئيلة للغاية في تلك المجلات.

وتشير دراسات حول أهمية المجلات المتخصصة في ازدهار الطب، فمعظم الدراسات الطبية الرائدة التي غيّرت في المجال الطبي، نشرت في مجلات طبية متخصصة؛ لذا زاد عدد تلك المجلات إلى ٢٨ ألف مجلة، تنشر ١,٨ مليون بحث سنوياً.

ومن هنا، فالتخصص ذو علاقة وثيقة بالإنجاز والإبداع والإتقان، ويرتبط بمفهوم تقسيم العمل، فمع التخصص يتم تقسيم العمل؛ بحيث يتولى كل فرد مسؤولية محددة، ويعمق معرفته بها، وهو ما يوفر الوقت والجهد والإمكانات، ويتيح ظهور ما يسميه علماء التربية بـ«المَلَكة»، وهو تواؤم وتناغم الاستعداد الفطري مع التأهيل العلمي والخبراتي، فالامتزاج بين ذلك المكون الفطري مع الإمكانات البيئية طريق موصل إلى النضج والإبداع، وكما يقول الراحل د. أحمد زويل، الحائز على «نوبل»: إن التخصص أساس التميز في عصر العلم.■

ما بعد الأيديولوجية الغربية

ناصر حمدادوش
برلمانـــي جزائـــري سابـــق

لقد انتهت الحضارة الغربية المادية، وبسطت هيمنتها على العالم بعد انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وظلَّ هذا الانتصار بالنسبة للغربيين مصدر إلهام للذاكرة لعقود من الزمن.

ثم مَثَّل سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩م، وتفكُّك الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م لحظة الغرور بالأحادية القطبية في هذا الزمن الأمريكي، وبدل تقليص وجود حلف «الناتو» أو إنهائه، بعد تأسيسه عام ١٩٤٩م للدفاع عن أعضائه كما ينصُّ ميثاقه، فقد عزَّزت أمريكا هذا الحِلْف، واعتبرته إحدى أدوات هيمنتها، بالتوسُّع والتدخُّل واحتلال الدول باسم الحروب الاستباقية وإستراتيجية الحروب الكونية ضد الإرهاب، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

عاش هذا الغرب (أمريكا وأوروبا) لحظة النشوة الحضارية؛ ما دفع بالمفكر والفيلسوف الأمريكي، الياباني الأصل، فرنسيس فوكوياما ليبشّر بنبوءة نهاية التاريخ والإنسان الأخير منذ عام ١٩٨٩م، الذي غَرق في وَهْم النتيجة الخادعة بأن تاريخ الإنسانية قد وصل إلى ذروة الكمال البشري بانهيار الشيوعية وانتصار الديمقراطية الليبرالية والليبرالية الاقتصادية الغربية، وأنه لا مفرَّ من التسليم بهذه الهيمنة الغربية على العالم.

الأيديولوجيات الثلاث

ويعتقد المفكر الروسي أليكسندر دوغين -عقل بوتين- أنَّ جميع الأنظمة السياسية في العصر الحديث لا تخرج عن نِتاج الأيديولوجيات الثلاث المتميزة؛ الماركسية والفاشية اللتان فشلتا وتلاشتا من صفحات التاريخ، والديمقراطية الليبرالية الغربية التي تعمل كأيديولوجية متجذرة، يُراد لنا أن نُسلِّم بها كنهاية للتاريخ على حد تعبير المفكر الأمريكي فوكوياما، وكأنها ذروة الكمال التاريخي للإنسانية، وهي الليبرالية التي تهدد العالم باحتكار الخطاب السياسي والقيم الإنسانية والعولمة المعتدية على الخصوصيات الدينية والثقافية والاجتماعية للشعوب والدول، وأنه لا بد لها من بديل عن هذه المركزية الغربية، والمتمثلة في الأحادية القطبية الأمريكية الحالية.

ولا نتفق مع ما ذهب إليه دوغين في هذا الكتاب بأن الحضارة الأوراسية (الروسية والصينية والهندية والإيرانية) هي البديل عن الحضارة الغربية، وهو ما ينذر بعودة خطر الثنائية القطبية، إذْ لا يتفق ذلك مع واقع صعود قوى أخرى تبشِّر بتعددية قطبية تدفع نحو عالم أكثر عدل وأمن واستقرار وتوازن، بما فيه الاستئناف الحضاري للأمة الإسلامية من جديد.

إن كتاب «صدام الحضارات» للمفكر الأمريكي صامويل هنتنغتون هو بداية الاستشعار بخطر تراجع الهيمنة الغربية وموت الغرب، وعدم الثقة بالهيمنة المطلقة، وقد رافع بقوة وشجاعة ليبيِّن بالأدلة الواقعية أن التاريخ لم ينتهِ لصالح الرأسمالية الغربية، وقفز بكل رشاقة إلى جوهر هذا الصدام القادم، حيث يقول: إنَّ عالم ما بعد الاتحاد السوفييتي وجدار برلين يتألَّف من ٨ حضارات متنافسة، لكن الصدام المحتمل على المدى القريب سيكون بين ٣ حضارات، هي: الحضارة الغربية الرأسمالية، والحضارة

> كتاب «صدام الحضارات» يعد بداية الاستشعار بخطر تراجع الهيمنة الغربية وموت الغرب

> ظهور نخب فكرية غربية تعمل على تفكيك المعتقدات والأفكار والقيم تؤدي لسقوط الغرب

> العدو الحقيقي للغرب هو نفسُه بسبب جفاف خصوبته وموت أخلاقه وتآكل نظامه الأسري

الصينية، والحضارة الإسلامية، أما على المدى البعيد فإنَّ هذا الصدام المحتمل سينحصر بين الحضارة الغربية والإسلام.

كان هذا الكتاب الجريء بمثابة القنبلة الفكرية والسياسية شديدة الانفجار التي أصابت النخب الغربية بالذهول والصدمة.

إنَّ مفهوم سقوط الغرب الليبرالي وصعود الشرق متعدد الأقطاب ليسَا مفهومين منفصلين، وليسَا مرحلتين متمايزتين بالضرورة، في ظل نظام عالمي واحد، وفي ظل تاريخ مستمر بلا انقطاع، ومهما بلغت الحضارة الغربية في سطوتها المباشرة (الاحتلال)، أو الإشراف غير المباشر (الاستعمار الجديد)، أو قوة التأثير على الدول (الهيمنة)، فإن صراعها الوجودي من أجل تأبيد الأحادية القطبية لن يكون إلا معاندة للحتمية التاريخية بإعادة تشكيل النظام العالمي من جديد، وعلى قواعد من التعددية القطبية، وهو ما تصر عليه روسيا والصين في مواجهة الغطرسة الأمريكية.

نهاية الهيمنة الغربية

وقد قال رئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلير (١٩٩٧م - ٢٠٠٧م)، في منتدى دعم التحالف بين أمريكا وأوروبا في محاضرة بعنوان «بعد أوكرانيا.. ما الدروس الحالية للقيادة الغربية؟»، فيقول: نحن نشهد نهاية الهيمنة السياسية والاقتصادية الغربية، وأن حرب أوكرانيا أظهرت أن هيمنة الغرب تشهد نهايتها في ظل صعود الصين لتكون قوة عظمى بالشراكة مع روسيا في أوضح نقاط التغيُّر في المشهد العالمي منذ قرون، مستنتجاً أن العالم سيصبح ثنائي القطب على الأقل أو متعدد الأقطاب، وأنَّ التغيير الجيوسياسي في هذا القرن سيأتي من الصين وليس من روسيا.

لقد كان لإرهاصات تشكُّل نظام عالمي جديد الجدل المتزايد لفهم عالم ما بعد الحرب الباردة، وهو ما دفع بالمفكر الأمريكي باتريك بوكانان بإلهاب الساحة الفكرية والسياسية داخل المنظومة الغربية بكتابه المثير للجدل لدى العقل الغربي، وهو كتاب «موت الغرب»، محذِّراً الحضارة الغربية من هذا الرعب الزاحف في غفلة من هذا الغرور الغربي المتنامي.

فهناك عدة ملامح تؤشر على هذه الأزمة البنيوية داخل المنظومة الغربية، ومن بينها ما ذكره الكاتب والمفكر الفرنسي إيمانويل تود في كتابه الصادر بداية هذا العام بعنوان «هزيمة الغرب»، وهو العنوان الصادم والمستفز للنخب الفكرية والسياسية والإعلامية الفرنسية، ذلك أن هذا الكاتب قد سبق له التبشير بنهاية الاتحاد السوفييتي، في وقت كانت فيه الشيوعية متربعة على ذروة صعودها العالمي، حيث أصدر كتابه «السقوط النهائي» عام ١٩٧٦م، مستعرضاً أسباباً دافعة لسقوط هذه المنظومة الشيوعية، ومن بين الأسباب التي يراها الكاتب في سقوط الغرب:

١- أنَّ الملايين من المهاجرين الذين شكَّلوا داخل المجتمعات الغربية ثقافات جديدة، لا تُدِين لحضارة الغرب بالولاء؛ مما يجعل الخطر داخلياً على الغرب لا مفرَّ من الاعتراف به، فقد بدأ المهاجرون يأخذون لأنفسهم كيانات ذاتية مستقلة، تحت مظلة الديمقراطية والتعددية الثقافية، وهو المارد المخيف الذي يهدِّد حضارة الغرب في معركة البقاء.

٢- تراجع معدلات الخصوبة والإنجاب في الغرب، بعزوف الأسرة الغربية عن الزواج الكاثوليكي القديم، والتوجُّه نحو اللذَّة وعدم تحمل المسؤولية، وظهور أسرة ما بعد الثورة التكنولوجية بتكوينها العضوي الأحادي (المثلية).

٣- المتأمِّل في طبيعة النظام الثقافي والنسق الأخلاقي السائد في الغرب يدرك تعرُّضه لثورة اجتماعية وثقافية، بظهور نخب سياسية وفكرية تعمل على تفكيك المعتقدات والأفكار والقيم، وخلق مجتمعات هجينة وجديدة، فأصبح الزنى والإجهاض والقتل الرحيم والمخدرات والانتحار من الفضائل والقيم السامية لمجتمعات ما بعد الثورة الثقافية الغربية.

٤- لقد أدت الكاثوليكية دوراً مهماً في التاريخ الأوروبي، كما ساهمت البروتستانتية كثورة حاولت الجمع بين التدين والعلم، التي اعتنقتها دول، منها: الولايات المتحدة وألمانيا وإنجلترا، قد ساهمت في صعود القوة الغربية بشكلها الحديث، لكن الحداثة الغربية سرَّعت من انفصال الإنسان الغربي عن أصله، وتباعد جسده عن روحه، والتصاقه بمعتقدات فاسدة وقوانين شاذَّة، سلبت من الحضارة الغربية فطرتها وهويتها.

فالعدو الحقيقي للغرب هو نفسُه، والخطر الفعلي عليه هو ذاتُه، بما يهدِّده بالانقراض، بسبب جفاف خصوبته، وموت أخلاقه، وتآكل نظامه الأسري، وبما سيجنيه كثمار فاسدة بإشعاله للحروب واستباحته للشعوب.

إن ما يسمِّيه إيمانويل تود في كتابه «هزيمة الغرب» بالعدمية الغربية كانت بسبب استبدال الجشع في الأيديولوجيا النيوليبرالية بالأخلاق الدينية المحفِّزة على العمل، التي جعلت الغرب معزولاً أخلاقياً وقيمياً، بعد أن فشل في فرض عولمته المتوحشة على أغلب الشعوب والدول الأخرى، وهو ما يعزِّز فكرة تاريخية منذ «المقدمة» لابن خلدون، وهي أن أي حضارة لا يُكتب لها النجاح بالاستمرار في الصدارة العالمية في ظل إخفاقاتها الأخلاقية.■

مظاهر ضعف الأمة وسبل معالجتها في ضوء التحديـات المعاصـرة

الأمـــة تواجـــه تحديات كثيـــرة أهمهـــا التخلـــف الحضـــاري فـي ظـل العولمـــة والهيمنـــة السياسية والاقتصادية الغربية

مرت الأمة الإسلامية في تاريخها بمراحل قوة استطاعت أن تبسط سلطانها على أماكن شاسعة في ٣ قارات، ومر بها كذلك مراحل ضعف استباح الصليبيون أرضها ٢٠٠ عام، واجتاح المغول بغداد وأسقطوا الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ؛ فانتصر المماليك عليهم عام ٦٥٨هـ، وأنهوا الوجود الصليبي في بلاد الشام عام ٦٩١هـ، وبرزت الدولة العثمانية كإحدى القوة العظمي في العالم لقرون حتى سقوطها عام ١٩٢٤م.

وهكذا صارت مراحل القوة والضعف متداولة بين الأمة الإسلامية وأعدائها؛ فالأمة الإسلامية تضعف، لكنها لا تباد وتهلك كسائر الأمم، ولن يسلط الله عليهم عدوًا يستبيحهم جميعًا، ولو اجتمعوا عليها من كل الأقطار؛ فضعفهم ليس بسبب قوة عدوهم، بل بسبب تفرقهم وتناحرهم واستقواء بعضهم على بعض، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن[1].

د. أشـــرف عيـــد

أولاً: مفهوم الوهن والضعف في الأمة الإسلامية:

يشمل مفهوم الأمة الإسلامية المسلمين في العالم جميعاً مع اختلاف أقطارهم ولغاتهم وأجناسهم؛ فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢).

والوهن أن يفعل الإنسان فعل الضعيف مادياً ومعنوياً؛ فالضعف النفسي بالخوف أو الحزن أو فقدان الثقة بالنفس أشد من الضعف المادي؛ لذا أمر سبحانه المسلمين بالتخلي عن مظاهر الضعف النفسي عقب هزيمتهم في غزوة «أُحد» في قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩)[2].

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»؛ فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»؛ فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»[3]، والحديث يفيد طمع العدو في المسلمين ليس لقلة عددهم؛ فإنهم كثيرُ، لكن لا نفع فيه ولا فائدة؛ لقلة شجاعتهم وشدة تفرقهم.

ثانياً: مظاهر الوهن والضعف في الأمة الإسلامية:

تواجه الأمة الإسلامية تحديات كثيرة، من أهمها التخلف الحضاري في ظل العولمة التي تمثل ذروة الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية الغربية على العالم، وهذا الوهن والضعف الذي تمر به الأمة الإسلامية اليوم تبدو مظاهره في جميع المجالات، ومن أهمها:

- الارتباط بالنظام الغربي؛ رحل الاحتلال العسكري عن البلاد العربية والإسلامية واستبدل به احتلال العقول التي تمتلك السيطرة على الأرض من خلال أنصاره الذين يتكلمون لغتنا ويحملون أفكاره بأساليب أكثر ذكاء وأعمق تأثيراً وأوسع انتشاراً؛ فيسير وفقاً للرؤية الغربية في السياسية الأمنية والعسكرية، والنظام الاقتصادي الذي تتبناه، وسوقاً استهلاكية كبيرة لمنتجاته.

- ضعف شأن الأمة الإسلامية في السياسة الدولية؛ سيطرت الخلافات على العلاقات بين الدول الإسلامية، وسادت الصراعات المسلحة على السلطة في بعضها مما ساهم في انشغالهم بأنفسهم وعزلتهم عن قضايا المسلمين في بورما

وتركستان الشرقية والهند وفلسطين وغيرهم.

– التخاذل غير المسبوق للقضية الفلسطينية؛ حيث سارعت دول عربية إلى التطبيع مع الكيان الصهيوني في السنوات الأخيرة، وعجزت الأمة عن اتخاذ موقف مؤثر ضد حرب الإبادة التي يتعرض لها شعب غزة منذ أكثر من ٧ أشهر؛ فلم تستطع الأمة الإسلامية التي تبلغ نحو ملياري مسلم الضغط على الكيان الصهيوني لإدخال المساعدات الإغاثية لشعب غزة المحاصر ووقف المجازر اليومية التي أسفرت عن أكثر من ١٢٠ ألف شهيد وجريح.

– انتشار العولمة الثقافية الغربية في المجتمعات الإسلامية؛ انتشر في المجتمعات الإسلامية تقليد الأنماط السلوكية والعادات والتقاليد الغربية على نحو ما نجد في دعوتهم إلى الحرية الجنسية المطلقة، والحرية الفكرية التي لا تعترف بنصوص مقدسة، ومن ثم نجد من يشكك علنًا في ثوابت الدين مما لا يستوعبه العقل من أمور الغيبيات ومعجزات الأنبياء، ويعملون على إثارة التعصب المذهبي بين الشيعة والعام والخلافات الفرعية، والتشكيك في العام النبوية وعلماء الأمة، ونشر العلمانية والإلحاد وصناعة رموز دينية مزيفة؛ ليصبح المسلمون بأسهم بينهم شديد، وينشغلوا بأنفسهم بعيدًا عن قضاياهم[٤].

ثالثاً: سبل معالجة الوهن والضعف بالأمة الإسلامية:

إن طريق النهوض بالأمة من حالة الضعف التي تعيشها الأمة لا بد أن يتوفر فيه الإرادة للتغير والإصلاح، فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)، وإذا أرادت الأمة تجاوز حالة الضعف التي تمر بها لا بد أن تسعى جاهدة لاتخاذ طريق الإصلاح، ومنه:

– ترابط المسلمين واتحادهم في مواجهة التحديات المعاصرة: ظل حلم وحدة العالم الإسلامي يراود دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي؛ حيث دعا جمال الدين الأفغاني في نهاية القرن التاسع عشر إلى إنشاء وحدة المسلمين تحت مظلة «الجامعة الإسلامية»، واليوم توجد الكثير من التكتلات العربية والإسلامية التي تحتاج إلى تفعيل دورها، ومنها: «جامعة الدولة العربية»، و«منظمة المؤتمر الإسلامي» التي وضعت من أهدافها: تعزيز التضامن الإسلامي؛ ودعم التعاون في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية؛ وتنسيق العمل من أجل الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة وتحريرها، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني ومساعدته على استرجاع حقوقه وتحرير أراضيه، وإيجاد المناخ لتعزيز التعاون والتفاهم بين الدول الأعضاء والدول الأخرى.

وتلك الأهداف إذا تم تطبيقها؛ فإنها تحقق الوحدة بين الأقطار الإسلامية والدفاع عن قضاياه، لكنها ظلت داخل الإطار النظري بعيدة عن التطبيق مما أفقد العالم الإسلامي مكانته الدولية.

– توجيه الاقتصاد الإسلامي لخدمة المسلمين: تمتلك الأمة الإسلامية مقومات اقتصادية هائلة يمكن الاستفادة منها في مجال التنمية كهدف إستراتيجي، وتنفيذ خطط تنموية مشتركة بين الدول العربية والإسلامية تأخذ بعين الاعتبار ما يتميز به الاقتصاد الوطني من خصائص لتحقيق هدف مرحلي يهدف إلى تحقيق التعاون الاقتصادي ككتلة اقتصادية واحدة، وتفعيل السوق العربية المشتركة، واستثمار رؤوس الأموال العربية محلياً بدلاً من استثمارها في الدول الأجنبية.

وتشرف الأمة الإسلامية على موقع متميز في العالم، وتتنوع ثرواتها من مختلف المعادن والبترول، وتربة زراعية وتنوع مناخي يساهم في تنوع المحاصيل الزراعية، وزيادة الإنتاج لتحقيق الأمن الغذائي لدول العالم الإسلامي، وتحقيق أكبر قدر من الازدهار الاقتصادي بما يدعم اقتصاديات الدول النامية منها، ويساهم في حل مشكلاتها الاقتصادية؛ فالنقص الغذائي، والأزمات الاقتصادية معوّق للقرار السياسي[٥].

– الأخذ بأسباب النهضة الحديثة: لن يتحرر العالم الإسلامي من التبعية السياسية والاقتصادية للغرب إلا بتضحيات وثمن باهظ، وتبني إستراتيجية منظمة متطورة تكفل مواكبة التقدم في مجالات التكنولوجيا والصناعة بما يدعم التقدم الاقتصادي والعسكري التي تمكنهم من مواجهة التحديات المعاصرة.

– التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة: إن تمسك الأمة بعقيدتها هو طريق النجاة من الانحرافات الغربية التي يتم نشرها في المجتمعات الإسلامية، وقد أنشئت لهذا الغرض عدة اتحادات تضم علماء من مختلف العالم الإسلامي تحتاج إلى تفعيل دورها، ومنها: «رابطة العالم الإسلامي» عام ١٩٦٢م؛ وهي منظمة إسلامية عالمية تمثل فيها جميع الشعوب الإسلامية، ومن أهدافها: نشر دعوة الإسلام، ودحض الشبهات عنه، والتصدي للتيارات والأفكار الهدامة، والدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم ويحل مشكلاتهم.■

الهوامش

(١) راجع: شرح صحيح مسلم للنووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، (٢٨٨٩).

(٢) د. زياد بن عابد المشوخي: الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي، دار كنوز، الرياض، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ١٢٤.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، (٤٢٩٧)؛ صحيح أبي داود للألباني (٤٢٩٧).

(٤) د. برهان غليون: العولمة وأثرها على المجتمعات العربية، مركز دراسات الشرق المعاصر، باريس، ٢٠٠٥م، ص١٢.

(٥) مستقبل الأمة وصراع الإستراتيجيات، كتاب مجلة البيان، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٣٤١.

خبير اقتصادي لـ«المجتمع»: الرأسمالية المتوحشة وراء تعميق هوة الفقر في العالم

د. عمـــرو نافـــع

في عالم يؤمن بقيم التنافس اللاأخلاقي بين الأفراد والشعوب، وتشجيع القيم النفعية التي زادت من إفقار الفقراء لصالح قلة قليلة من النخب الرأسمالية المؤمنة بندرة الموارد ووجوب احتكارها، تزداد الحاجة للعودة للنظام الاقتصادي الإسلامي القائم على مبدأ وفرة الموارد مع وجوب ترشيد استخدامها الذي يتماشى مع الفطرة الإنسانية السليمة وحاجة المجتمعات للجمع بين مزايا الحقوق الفردية في التملك والاستثمار، ومبادئ الحماية المجتمعية وفق قاعدة من عدالة التوزيع والمسؤولية والتكافل والتوازن بين الفوائد والأخطار، وهو ما تكفله الشريعة الإسلامية.

حول إمكانات تطبيق مبادئ الشريعة في عالم التحول الرأسمالي والرقمي، يدور حوار «المجتمع» مع د. محمد السيد، الباحث المتخصص في الاقتصاد الإسلامي.

هل نشأ علم الاقتصاد للتعبير عن النخب أم عامة الشعب؟

– سأحيلكم لعالم شهير مثل جون راندال في مؤلفه «تكوين العقل الحديث»، يثبت الغائية في علم الاقتصاد، فيقول: إن علم الاقتصاد قام أساسًا لتسويغ مطالب طبقات التجار بالتحرر من تدخل الحكومة، وإن تطور نظريات الاقتصاد كان رهين تطور المطالب الخاصة بالطبقة المتوسطة، فعندما كانت مصلحتها في تدخل الدولة لحماية مكاسبها وتدعيمها قدمت نظريات التدخل وبررتها، وعندما تمكنت من تحقيق نفوذها القوى في المجتمع لم تعد في حاجة إلى تدخل الدولة، فجاء الاقتصاد ليبرر هذا التحول وينادي بالحرية على يد «الفيزوقراط» والكلاسيك.

وقد حدث طمس متعمد لموضوعات كثيرة أثارها آدم سميث تتعلق بأحوال الطبقة العاملة والمزارعين وسوء ما هم عليه، وضرورة تحسين أوضاعهم، والتأكيد على أنه لا سعادة لمجتمع يكون القسم الأعظم من أفراده فقراء تعساء.

إن مشاعر الرحمة كانت تعكس نظرة سميث لم يشاركه فيها علماء اقتصاد الصناعة المنتصرة، وقد أسدل ستار النسيان على تلك المقولات، وأصبح بعد ذلك سميث ممثلًا بالدرجة الأولى لسياسة حرية التجارة ومبدأ عدم التدخل!

في المرحلة الكلاسيكية الحديثة بزعامة بنثام وتلميذه جون ستيوارت مل، كان بنثام نفسه الناطق بلسان الطبقة الإنجليزية المتوسطة، وقد بدا له أن ما تطلبه هذه الطبقة هو أفضل شيء للمجتمع، أما نظرية المنفعة الحدية في الاقتصاد فقد اكتشف الاقتصاديون المعاصرون في السنوات العشر الأخيرة فقط أنها بعيدة كل البعد عن أي اتصال بالعالم الاجتماعي الواقعي وما يجري فيه.

وما الذي ترونه فيمن يصر على فصل الاقتصاد والسياسة وسائر العلوم عن الدين؟

– ليس صحيحًا القول بأن علم الاقتصاد القائم علم عالمي لا وطن له ولا دين له؛ لأنك إذا نظرت في تاريخ علم الاقتصاد لا تجد إلا علم الاقتصاد الرأسمالي الغربي، ولا وجود لغير

هذا العلم ونظرياته، يفرض بعضها بالقوة، وبعضها بالإغراء، وبعضها بالسيطرة السياسية وغير ذلك.

الحقيقة، بعض القيم المرتبطة بهذا العلم، كاعتبار كل ما يمكن أن يباع سلعة وموضوعاً لعلم الاقتصاد ولو كان هو العرض والطلب، وهذا ما لا يقبله الإسلام ولا شمله بقوانينه وتنظيماته المختلفة؛ لأن الإسلام يهدف وعلى عكس الاقتصاديات الشائعة لا إلى تعظيم الناتج فقط بل إلى إسعاد البشر وتحقيق إنسانيتهم بإنتاج الطيبات والتعاون على إيجاد الكرامة الإنسانية لكل البشر.

كيف تطور علم الاقتصاد الإسلامي واستفاد من العلوم الأخرى؟

– علم الاقتصاد الإسلامي يقوم على الاستفادة من القوانين الاقتصادية التي هي في الأساس قوانين طبيعية تدرك بالبديهة، بما يناسب ظروف مجتمعه وفلسفته في الإنتاج والاقتصاد والتداول والتوزيع، وكل هذه جوانب يختلف فيها الاقتصاد الإسلامي عن غيره من الاقتصاديات الغربية التي أثبتت التجربة ظلمها في كثير من القطاعات، ولذلك كانت تختلف نظرياتها تباعاً لعلاج أزمات لا لظهور حقائق علمية جديدة، وليس في الإسلام جانب من جوانب الدنيا إلا وله كلمة فيه، وصدق الخليل إبراهيم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢)، فنظرية متطورة وتملك رحابة التطوير والاستفادة من جميع النظريات الأخرى على ضوء ربانية المنهج والتطبيق.

أثبتت التجربة فشل الاشتراكية في تحقيق مطالب الشعوب وتوحش الرأسمالية، كيف نصنع اقتصاداً ينحاز للإنسان؟

– في الحقيقة، لم يعد هنالك نظام اقتصادي خالص؛ فلم تعد الرأسمالية هي تلك الفكرة التي نشأت في القرن السادس عشر، ولم تعد الاشتراكية هي نسخة ماركس الأولى نحو الشيوعية، بل ولا حتى الاشتراكيات التي

الاقتصاد الغربي يفرض نفسه على العالم بالقوة والإغراء

جرى فرض فلسفة التسليع والربح على السلوك الإنساني

الاقتصاد الإسلامي يعمل على إسعاد البشر وتحقيق إنسانيتهم

نشأت عليها دول كروسيا عندما كانت ضمن الاتحاد السوفييتي؛ فقد أجبرت الظروف كل هذه النظم على تغيير الآليات وابتداع سياسات تواجه الأزمات هنا وهنالك، فعلى مستوى الرأسمالية اتخذت الإجراءات الاجتماعية التي تحفظ حقوق العمال والموظفين خاصة بعد ظهور النزعات الاشتراكية، وهذه الأخيرة وسعت من مجال الحرية الاقتصادية ومجال الملكية حتى تلبي الرغبات الطبيعية في الملكية والثراء.

ولو انتقلنا خطوة أخرى لم يعد هناك نظام واحد يحكم العالم، وإن كانت الغلبة طبعاً للنظام الرأسمالي الذي بات يهيمن على الفكر، وفرض فلسفة التسليع والربح على السلوك الإنساني بطريقة أو بأخرى، والسياسات الدولية حالياً تقودها فكرة التنافس والاحتراب، وهذا الأخير يعتبر في مقدمة الأسباب التي عطلت مسيرة التنمية عالمياً، وساهمت بشكل صارخ في تعميق هوة الفقر وتوسيع الفجوة بين الدول والبشر هنا وهنالك.

تحضرني كلمة للمفكر الاقتصادي الكبير محمد شوقي الفنجري حين ضرب المثل بهذه الحالة بأن الأموال التي تنفق على تجهيز الجيوش بين المعسكرين الكبيرين الرأسمالي والاشتراكي تكفي لتدمير العالم مرات عديدة، ولو أنفقت بنفس النسبة تكفي لبناء العالم مرتين ولقضت على الفقر والأمية وحققت الرفاهية للمجتمعات الفقيرة.

ما الخصوصية التي يتمتع بها الاقتصاد الإسلامي حضارياً؟

– لقد قاد الاقتصاد الإسلامي حضارة كبيرة شاملة انطلاقاً من ربانية التوجيه، وبدأ التطبيق من خلال حاكم نبي ورسول، بل خاتم الأنبياء، صلى الله عليه وسلم، واستطاعت هذه الدولة التي غلبت الحوافز الربانية أن ترث الإمبراطوريات الظالمة وأن تقودها إلى حضارة عُليا، ثم استمر الأمر هكذا إلى أن تعرضت الأمة لمؤامرة الاستعمار، ومع الأسف لم تكن على نفس القوة السابقة في السعي إلى العلم والاكتشاف والبحث فلم تجد من مقوماتها الدفاعية ما تحفظ به نفسها.

ما النموذج الملهم، في رأيك، لتحقيق الاقتصاد الإسلامي عربيًا؟

– وسط التحديات التي نعيشها الآن فقد وجد رجال مخلصون استفادوا من التكنولوجيا المالية الحديثة وعملوا على إعادة المجد لهذا الاقتصاد، فنشأت المصرفية الإسلامية عام ١٩٧٥م، ولم تكن هذه التجربة محاولة استفادة من النظم المصرفية فقط، بل حملت فلسفة متكاملة أعادت بناء الاقتصاد الإسلامي، وفي طليعة هذه الجهود جهد الرائد صالح عبدالله كامل، رحمه الله، فقد كان أحد أفذاذ الاقتصاد الإسلامي على مستوى الفكر والتنظير والعمل والاضطلاع بالمسؤولية الاجتماعية، وهو بحق أبو المصرفية الإسلامية بما وفره من مؤسسات علمية واقتصادية رائدة، إلى جانب تأسيسه لمنتدى البركة للاقتصاد الإسلامي، الذي يعد أعلى مؤسسة علمية متخصصة في الاقتصاد الإسلامي بمفهومه الشامل.■

قرصان أمريكي يعترف: هكذا أسقطنا العالم النامي في دوامات الفشل!

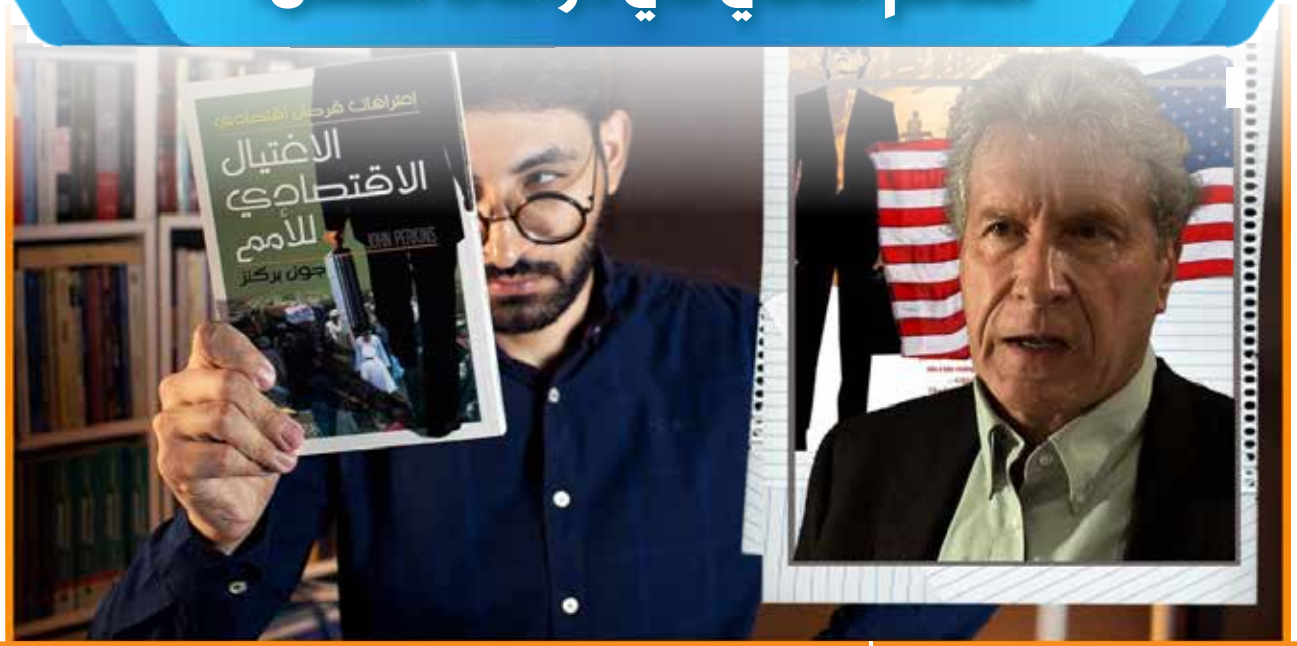

بعد الحرب العالمية الثانيــة ربطت أمريكا منافسيها ألمانيــا واليابــان بمصالح شركاتها داخل نظام عالمي وفتحت الباب للاستثمار الأمريكــي في أوروبــا عبــر مشــروع مارشــال

جون بيركنز يعتـرف في كتابــه «الاغتيـال الاقتصـادي للأمم» بالممارسـات الأمريكية لإغراق الدول النامية في الفشل والانقلابات ثم الرضوخ للإملاءات

في عام ١٩٧١م حين لمـح نيكسون بوادر تنافسيــة أوروبية ويابانية رفـع غطـاء الذهب للدولار فتسبب في إرباك الاقتصاد العالمي لصالح الصناعات الأمريكية

شيمــاء أحمــد

هل تعرفون ما الواجب الوطني المقدس في أمريكا؟! ليس هناك شيء سوى الاستمرار في تربع قمة الهرم الرأسمالي العالمي أياً كانت الوسيلة.

في أواخر عام ١٩٨٠م، وعلى متن أحد القوارب الفارهة بجزر فيرجن آيلاند، استيقظ ضمير الخبير والقرصان الاقتصادي الدولي جون بيركنز ليعترف في كتابه «الاغتيال الاقتصادي للأمم» بكل ممارساته شخصيًا وأقرانه من رواد إمبراطورية «الكوربوقراطية»؛ أي حكم منظومة الشركات الكبرى الأمريكية لإغراق الدول النامية في الفشل والانقلابات ثم الرضوخ للإملاءات الأمريكية.

تعرض مؤلف الكتاب للتهديد وللرشوة للتوقف عن كتابة اعترافاته، ولكنه قرر المواصلة، أما لماذا استيقظ ضميره فجأة، فيقول: بعد أحداث ١١ سبتمبر والغزو الأمريكي للعراق، وهي أحداث راح ضحيتها آلاف الأبرياء، إضافة لمن يموتون جوعاً في البلدان النامية كل يوم بفضل سياسات بلاده، ومن يشاهد صعودهم من تكتلات احتكارية تحكم أمريكا من عينة أندرسون، وإنرون، وغيرهما، وما رآه وعاينه بنفسه من حوادث ملفقة بحق حكام أمريكا اللاتينية ودول العالم الذين تصدوا لسياسات بلاده.

يضيف أن بلاده قد أنفقت حتى تأليف الكتاب ٨٧ مليار دولار لتقود حرباً في العراق، وكان نصف هذا المبلغ كافياً لتأمين مياه نظيفة وتغذية كافية وخدمات صحية وتعليم أساسي لكثير من البشر على الأرض!

لقد قرر القرصان أن يروي إدراكاً منه أن أي إمبراطورية لا يمكن أن تدوم للأبد طالما قامت على استغلال الآخرين، قرر أن يكتب فربما يخفف وطأة شعوره بالندم كرائد لشركة "ماين" القائمة على مساعدة القراصنة الجدد في مهامهم التخريبية العالمية!

غسيل الأدمغة

يؤكد بيركنز في اعترافاته أن أمريكا يحكمها في الواقع حزب واحد بجناحين ديمقراطي وجمهوري، وكل منهما يسيطر على مجموعة من قطاعات الأعمال والشركات الكبرى، وهؤلاء هم من تحقق الأحزاب رغباتهم، وقد تحول رجل الشارع لمجرد مستهلك ومتفرج.

جرى ذلك عبر عقود من غسيل الأدمغة للشعب الأمريكي ليصبح مقتنعًا بسياسات بلاده، تحت شعارات محاربة إمبراطوريات الشر، التي تحولت تدريجياً من الشيوعية لخطر الإرهاب،

تحت تأثير طاغ من أجهزة الإعلام التي تحكمها الشركات الرأسمالية.

التجارة الحرة

بعد الحرب العالمية الثانية، استطاعت أمريكا عبر سياسة الاحتواء الخارجية، ربط منافسيها ألمانيا واليابان بمصالح شركاتها داخل نظام عالمي، وفتحت الباب للاستثمار الأمريكي في أوروبا عبر مشروع مارشال، ثم قرر نيكسون تغيير قواعد اللعبة في عام ١٩٧١م حين لمح بوادر تنافسية أوروبية ويابانية، ورفع غطاء الذهب للدولار فتسبب في إرباك الاقتصاد العالمي لصالح الصناعات الأمريكية، وبارتفاع أسعار النفط عام ١٩٧٤م لجأت المصارف العالمية المرتبطة بالمصالح الأمريكية لتشجيع اقتراض الدول النامية.

في هذه الآونة تدفقت صادرات أمريكية غير مسبوقة من السلاح للشرق الأوسط، وكان تركيز صندوق النقد والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية لإنشاء منظومة لحكم العالم بشكل غير مباشر، عبر النخب وقادة الأعمال، الذين يدافعون فقط عن الليبرالية بالمفهوم الأمريكي، وطلب من أكثر من ١٠٠ دولة من العالم الثالث فتح أسواقها للشركات متعدية الجنسيات ومساندة حرية التجارة وهو ما تسبب بآثار مدمرة على اقتصاديات الدول في أمريكا اللاتينية وهروب الأموال من روسيا بنحو ١٩ مليار دولار في عام ١٩٩١م وحده، مع ازدياد الفقر والاضطراب الاجتماعي في كل تلك الدول.

خطة إفشال

قام بيركنز صاحب الاعترافات مثل أقرانه بخلق ظروف تؤدي لخضوع الدول النامية لهيمنة النخبة الأمريكية عبر إعداد الدراسات التي بناء عليها توافق المنظمات المالية على تقديم قروض للدول المستهدفة بغرض تطوير البنية التحتية ومحطات توليد الكهرباء والطرق والموانئ والمطارات والمدن الصناعية بشرط قيام شركات المقاولات الأمريكية بتنفيذ هذه المشروعات، وبالتالي فإن الأموال لا تغادر أمريكا وإنما تتحول من بنوك واشنطن لحسابات الشركات الأمريكية داخل البلاد.

ولمزيد من إحكام اللعبة، يقوم القراصنة بتدبيج أرقام للنمو الاقتصادي لتلك الدول ولكنها في الواقع لا تعكس سوى صعود نخبة تمثل الأقلية على حساب الأغلبية التي تزداد فقرًا!

في المقابل، يبقى على الدول المتلقية سداد أصل القرض والفوائد، وبعد تعثر تلك البلدان المحتم عن سداد القروض وفوائدها المتراكمة تصبح مضطرة للخضوع لشروط الدائن مثل التصويت على قرارات معينة في الأمم المتحدة أو السيطرة على مواردها أو حتى قبول تواجد عسكري أمريكي فيها!

انقلابات وفوضى مدبرة

لقد دفع بيركنز وزملاؤه دولة الأكوادور لحافة الإفلاس، وارتفاع حد الفقر لنحو ٧٠% من السكان، وبحيث تخصص الأكوادور نحو نصف ميزانيتها لسداد الديون، ثم اضطرت لبيع غاباتها لشركات النفط الأمريكية، كانت أمريكا تعلم بما تحويه تلك الغابات من ثروة نفطية طائلة، وقد استحوذت فعلياً على ٧٥% منه عبر شركاتها، وتوجه ما تبقى لميزانية تضيع معظمها لسداد الديون وفوائدها أيضاً.

ينطبق السيناريو السابق تمامًا على جواتيمالا وبنما اللتين جرى اغتيالهما بالشكل نفسه، وخاصة بعد أن أعلن رئيس جواتيمالا أربنز خطته للإصلاح الزراعي بما يهدد مصالح شركة يونايتد فروت -شركة تعود للقرن التاسع عشر وتهيمن على مزارع أمريكا الوسطى- وبالتالي تم إلصاق تهمة به كونه عميلاً للاتحاد السوفييتي ضد أمريكا، وخططت المخابرات الأمريكية «سي آي إيه» لانقلاب مدبر ضد نظامه المنتخب ديمقراطياً، وتحديداً في عام ١٩٥٤م، ومجيء دكتاتور يميني هو الكولونيل كارلوس أرماس الذي ألغى فوراً الإصلاح الزراعي والضرائب على الاستثمار الأجنبي وأودع في السجون آلاف المواطنين!

أما في بنما التي حكمت طيلة نصف قرن بواسطة عائلات ثرية ذات صلات قوية بواشنطن، فقد تجرأ رئيسها عمر توريخوس على رفض الهيمنة الأمريكية، فنال مصيره في حادث طائرة عام ١٩٨١م، وخلفه رئيس فاسد وهو نورويجا، ولكن الغريب أن أمريكا قد قررت غزو بنما عام ١٩٨٩م وإحراق أحياء في عاصمتها وقتل الآلاف من الأطفال والمدنيين الأبرياء، واستندت أمريكا لذريعة التهديد الشيوعي لتقضي على تلك الدولة النامية تماماً مثل فيتنام وغيرها!

جرى الأمر نفسه مع فنزويلا رابع مصدّر للبترول في العالم التي أعلن رئيسها هوجو تشافيز السيطرة على البترول في بلاده منذ عام ٢٠٠٢م، وسعت أمريكا لخلق انقلاب مدبر ضده ولكنه عاد بمساندة الجيش الذي سانده، بخلاف مصدق في إيران، ولم تتمكن أمريكا من تكرار سيناريو إيران ١٩٥٣م في فنزويلا عام ٢٠٠٣م، وجاء غزو العراق لينقذ فنزويلا من غزو أمريكي محدق، حيث لم يكن بإمكان أمريكا فتح جبهة جديدة إلى جانب أفغانستان والعراق!

وبحسب اعترافات بيركنز، فإن العراق ليس فقط هو النفط، وإنما أيضاً المياه والموقع الإستراتيجي والسوق الواسعة للتكنولوجيا الأمريكية، وقد بات واضحاً منذ عام ١٩٨٩م للنخبة الأمريكية التي ساندت صدام حسين في حربه ضد إيران أنه لن يسير في السيناريو الاقتصادي المرسوم، ومن هنا لفقت أمريكا قضية النووي العراقي لتغزو هذا البلد وتمتص البترول من أرضه وتنشر قواتها في أرجائه وتدمر معالمه وتقتل الآلاف من الأبرياء بلا هوادة وتغرق البلاد في دوامة التطرف لعقود.

لقد تم تغليف خطة النهب الاقتصادي بمفاهيم مثل الحكم الرشيد وتحرير التجارة وحقوق المستهلك، تقود البلدان لخصخصة خدماتها وإلغاء الدعم الذي يحمي الصناعة المحلية، لم تكن قراصنة أمريكا في الواقع تعمل لعودة الدولارات ولا فوائدها، ولكن إخضاع العالم لأوامر قطب الرأسمالية الأمريكي الأوحد، يعترف القرصان مؤلف الكتاب: كنا نطلب رطلاً من لحم المدين مقابل الدين تمامًا كتاجر البندقية!■

طلبنا من ١٠٠ دولة من العالم الثالث فتح أسواقها للشركات متعدية الجنسيات مما تسبب بآثار مدمرة على اقتصاديات الدول بأمريكا اللاتينية

هيأنا ظروفاً تؤدي لخضوع الدول النامية لهيمنة النخبة الأمريكية بإعداد الدراسات التي تعتمدها المنظمات المالية لتقديم قروض للدول المستهدفة

تعرض مؤلف الكتاب للتهديد وللرشوة للتوقف عن كتابة اعترافاته ولكنه قرر المواصلة

الاحتلال دمر 6 جامعات وقتل 100 عالم وأكاديمي بغزة خلال الحرب

الصهاينة يدمرون المنظومة التعليمية في قطاع غزة

غزة – محمد سالم:

في إطار جرائم الحرب التي ارتكبها الاحتلال الصهيوني بحق قطاع غزة، طالت كل مقومات التعليم من اغتيال وقتل لعلماء وأكاديميين ورؤساء جامعات ومحاضرين ومدرسين، وتدمير للجامعات والكليات والمدارس، وبالتالي حرمان أكثر من مليون طالب وطالبة من الدراسة، بل إن التعليم، وفق خبراء التربية في غزة، سيحتاج لسنوات طويلة للتعافي، في ظل ما أحدثه الاحتلال الصهيوني من تدمير هائل في كل المنظومة التعليمية.

«المجتمع» تسلط الضوء على واقع التعليم في ظل حرب الإبادة في قطاع غزة، ومستقبل الجامعات والمدارس.

دمرت قوات الاحتلال الصهيوني كافة الجامعات الكبرى في قطاع غزة، وهي، الجامعة الإسلامية، وجامعة الأزهر، وجامعة الأقصى، وجامعة الإسراء، وجامعة فلسطين، وجامعة القدس المفتوحة، وسوَّت مبانيها بالأرض، وهذا يعني كما أكدت تلك الجامعات في بيانات منفصلة لها تدمير المسيرة التعليمية لنحو ربع مليون طالب جامعي بعد أن حول الصهاينة جامعاتهم ومختبراتهم العلمية لكومة من الركام.

ولم يكتف الاحتلال بذلك، فقد أكد المكتب الإعلامي الحكومي في غزة، أن الصهاينة اغتالوا نحو ١٠٠ من العلماء والأكاديميين وأساتذة الجامعات والباحثين، في جريمة هدفها قتل العقول المفكرة والعلماء.

ويؤكد البروفيسور شادي قاسم، أستاذ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، أن المنظومة الجامعية في قطاع غزة دمرها الاحتلال الصهيوني بالكامل، فلا توجد جامعة إلا ترجم الصهاينة حقدهم فيها بتفجير أبنيتها ومرافقها، وما شيد طيلة ٥٠ عاماً الماضية حوّله المحتل الغاشم لكومة من الركام.

وأوضح قاسم لـ«المجتمع» أن الصهاينة يعتبرون الجامعات والمدارس العدو الأول، فهي تخرّج العقول والأجيال المتعاقبة، لافتاً إلى أن أكثر من ٦٥٠٠ طالب استشهدوا منذ بدء العدوان على قطاع غزة في السابع من أكتوبر الماضي.

تجهيل الأجيال القادمة

وحذر قاسم من خطورة ما فعله الاحتلال بحق الجامعات على الأجيال الفلسطينية القادمة التي لن تجد لها أي مكان للدراسة، مشيراً إلى أنه من الممكن أن يكون تدمير الجامعات إحدى أدوات تشجيع الشباب على الهجرة لخارج غزة تحت بند التعليم، بعد أن كانت جامعات غزة تدرس كافة التخصصات مثل الطب والهندسة والزراعة والإعلام، بل

باتت مثل الجامعة الإسلامية تمنح شهادات الدكتوراة في العديد من العلوم.

ولا تغيب عن أذهان الفلسطينيين والعالم مشاهد سخرية الصهاينة وهم يفجرون المدارس ويضحكون في استخفاف سافر بكل القوانين والأعراف الدولية، وقد تسبب العدوان الغاشم، وفق معطيات وزارة التربية والتعليم الفلسطينية بحرمان نحو مليون طالب فلسطيني من الدراسة، وتحولت مدارسهم إلى مراكز إيواء لنحو مليوني نازح، بل إن مقاعد الدراسة تحولت لوقود لطهي الطعام في ظل نفاد غاز الطهي نتيجة الحصار الصهيوني الظالم المتواصل على قطاع غزة منذ بدء العدوان.

وتؤكد وزارة التعليم الفلسطينية أنه لأول مرة منذ النكبة الفلسطينية لم يتمكن طلبة غزة من الالتحاق بمدارسهم، وذلك بسبب العدوان وتدمير الاحتلال نحو ٤٠٠ مدرسة ما بين ابتدائي وإعدادي وثانوي بشكل كلي وجزئي، في أكبر مجزرة ترتكب بحق البشرية منذ فجر التاريخ.

وتشير وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، في بيان لها، إلى أن الاحتلال قتل نحو ٥٠٠ فلسطيني داخل مدارسها أثناء عملية النزوح، ونفذ نحو ٣٠٠ اعتداء على تلك المدارس، التي بات معظمها غير صالح للدراسة بسبب حجم التدمير الكبير فيها.

ويقول المدرس إسماعيل عودة، لـ«المجتمع»: إن التعليم في قطاع غزة يحتاج لسنوات للتعافي، فقد ضاع عام دراسي كامل على الطلاب، مضيفاً أنه لم يعد بإمكان طلبة الثانوية بعد ٨ أشهر من الحرب التقدم للامتحانات الشهر المقبل أسوة بالضفة الغربية.

وأكد المدرس عودة أن الاحتلال الصهيوني تعمد تدمير التعليم في غزة لهدفين؛ الأول: تدمير الأجيال الفلسطينية بالكامل وتجهيلهم، والثاني دفع أهالي هؤلاء الطلبة للهجرة للبحث عن ظروف مناسبة لأبنائهم لاستكمال مسيرتهم التعليمية.

من جانبه، يوضح رئيس مؤسسة الإبداع التعليمية في غزة محمد الكفارنة، أن المسيرة التعليمية بغزة دخلت منعطفاً خطيراً، ستحتاج لسنوات للتعافي، خاصة في ظل الفاقد التعليمي الكبير في المناهج الدراسية، مؤكداً أن ٩٠% من المدارس على سبيل المثال في شمال قطاع غزة دمرت بالكامل، وهذا يعني أن أكثر من نصف مليون طالب لن يجلسوا على مقاعد الدراسة خلال عقد من الزمن.

وأشار، في الوقت ذاته، إلى أن الجانب النفسي له دور كبير في العملية التعليمية، فهناك وفق إحصاءات لوزارة الصحة الفلسطينية أكثر من ٢٠ ألف طفل بدون أحد الأبوين، ونحو ١٦ ألف طفل فقدتهم المدارس خلال العدوان، يضاف لذلك أن ٨٠% من الطلبة أصبحوا بلا مأوى.

وأضاف الكفارنة أن كل هذه العوامل سيكون لها نتائج كارثية على تحصيل الطلبة الدراسي؛ مما سيشكل انتكاسة في المسيرة التعليمية، مبيناً أن عملية التعويض للطلبة حال توقف العدوان الصهيوني ستحتاج الكثير من الوقت.

في سياق متصل، أكد الباحث في مركز الميزان لحقوق الإنسان في غزة حسين حماد أن الاحتلال الغاشم تعمد تدمير كل مرافق الحياة في غزة، وفي المقدمة منها الجامعات والمدارس، وذلك بهدف تنفيذ سياسة خطيرة؛ وهي أن تصبح غزة غير قابلة للحياة، ودفع الأهالي للهجرة الطوعية خارج قطاع غزة.

وكشف حماد، لـ«المجتمع»، أن ٩٥% من مدارس وجامعات غزة، التي كانت تدرس أكثر من مليون طالب وطالبة باتت مهدمة وغير صالحة للتدريس؛ ما يعني سنوات من الحرمان من الدراسة، وحتى إن وجدت ستكون في خيام.

إجراءات لتعويض الطلبة

وتؤكد وزارة التربية والتعليم الفلسطينية أن واقع التعليم في غزة كارثي، وأنها تدرس كيفية تعويض الطلبة عن عام دراسي كامل، لافتة، في بيان لها، أنها تمكنت من حث الجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية على استيعاب طلبة جامعات غزة عبر التعليم الإلكتروني، ودراسة المقررات الدراسية عن بُعد، مبينة أن أكثر من ٢٠ جامعة حول العالم أفرزت مئات المحاضرين، هم يساعدون الآن طلبة غزة على دراسة مساقات علمية جديدة، لمنع انهيار المنظومة التعليمية.

وقالت: إن أكثر الخطط صعوبة هي تلك المتعلقة بطلبة الثانوية العامة، وأن وضع الخطط منوط بنهاية العدوان «الإسرائيلي» على غزة.

ويبقى مصير التعليم في غزة معلقاً إلى أجل غير مسمى ليطيح الاحتلال الغاشم بهذه الجريمة بأحلام الطلبة وطموحاتهم.■

مع التطورات الخطيرة على الحدود المصرية مع الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتصاعُد التهديدات الصهيونية في رفح وخرقها اتفاقية السلام مع مصر (كامب ديفيد)، يرى محللون سياسيون، تحدثوا لـ«المجتمع»، إمكانية تقديم شيخ الأزهر د. أحمد الطيب المزيد في مسار نصرة الأزهر للقضية الفلسطينية، عبر تصعيد مسارات الجهود الكبيرة المبذولة من مشيخة الأزهر.

ودشن شيخ الأزهر، الفترة الماضية، ٥ حملات إغاثية لدعم غزة عبر بيت الصدقات والزكاة الذي يشرف عليه، وأصدر عشرات البيانات التضامنية مع غزة والمقاومة الفلسطينية والمنددة بالعدوان الصهيوني، ووجه العديد من الخطابات الداعمة لاستقلال فلسطين كلها.

جهود كبيرة وآمال أكبر.. هل لدى شيخ الأزهر المزيد لفعله بعد تطورات رفح؟

تحقيق - حسن القباني:

الشيخ الطيب أطلق ٥ حملات إغاثية وأصدر عشرات البيانات والخطابات التضامنية

في البداية، يرى المفكر المصري محمد عصمت سيف الدولة، مؤسس حركة «مصريون ضد الصهيونية»، في حديثه لـ«المجتمع»، أن مواقف وتصريحات شيخ الأزهر هي أفضل ما صدر من تصريحات عن أي مسؤول رسمي بالدولة المصرية، ولكن الموقف الإسلامي والعقائدي والوطني والقومي الصحيح الذي يجب على شيخ الأزهر فعله هو المطالبة بإلغاء معاهدة «كامب ديفيد»، وسحب الاعتراف المصري الرسمي بشرعية الكيان الصهيوني.

ويقترح سيف الدولة دراسة شيخ الأزهر لمسارات مشاركة الشباب في معركة التحرير والدفاع عن غزة وأهاليها في مواجهة حرب الإبادة، مبرراً ذلك بقوله: إن الشريعة الإسلامية تأمرنا صراحة بقتال الذين يخرجوننا من ديارنا، وفلسطين هي جزء لا يتجزأ من ديارنا، ومن الأمة، فلا فرق بين سيناء وفلسطين، فكلها أرضنا وحياتنا وأوطاننا.

ويضيف أن الشريعة الإسلامية، وفقاً للدستور المصري، المصدر الرئيس للتشريع، وبالتالي فإن الشعب المصري مكلف دستورياً بالدفاع عن فلسطين، وفقاً لهذا النص ونصوص أخرى، موضحاً أن هذا الموقف صدر من الأزهر الشريف في فتواه الشهيرة عام ١٩٥٦م حين أصدر فتوى بتحريم الصلح مع الكيان الصهيوني أو موالاة من يدعمه.

ويتساءل سيف الدولة: أين نحن الآن من تلك الأيام؟ وهل يملك الأزهر استقلالاً حقيقياً كي يتخذ من المواقف ما يعارض السياسات الرسمية للدولة التي تقوم على أن اتفاقيات «كامب ديفيد» هي الدستور الفعلي لمصر؟!

أفعال محددة

من جانبه، يرى الكاتب الصحفي مجدي أحمد حسين، في حديث لـ«المجتمع» أن لدى شيخ الأزهر الكثير ليقدمه بعد تطورات رفح، موضحاً أنه لا شك قد أصدر من قبل عدداً من البيانات الممتازة، ولكن المطلوب الآن كلمات مرتبطة بالدعوة إلى أفعال محددة باعتبارها أموراً شرعية أمرنا بها الله عز وجل، وفق رأيه.

واقترح حسين أن يصدر الإمام الأكبر شيخ الأزهر فتوى بضرورة إدخال المساعدات الإنسانية لأهلنا في غزة، بالقوة، وطرد الصهاينة من معبر رفح، أو فتح معبر جديد، وإعلان الموقف الشرعي الرافض للتطبيع مع ذلك العدو المجرم

سيف الدولة: الموقف الإسلامي والوطني يوجب على شيخ الأزهر فعل المزيد

حسين: مطلوب فتوى بكسر الحصار بالقوة وطرد الصهاينة من معبر رفح

عبدالرؤوف: لا بد من التناغم مع الموقف الإستراتيجي لـ«طوفان الأقصى»

الذي يبيد النساء والأطفال وكل أبناء غزة.

ويشير حسين إلى أهمية تأكيد مشيخة الأزهر الموقف الشرعي للجهاد في سبيل الله تعالى، ومن أجل الدفاع عن الوطن والشعب الفلسطيني، والرد على أي أفكار تطرح تخيف الناس من تصاعد الحرب؛ انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

الارتقاء إلى مستوى الحدث

بدوره، يرى صلاح عبدالرؤوف، الباحث المهتم بالشأن الفلسطيني، في حديث لـ«المجتمع»، أن الموقف المنتظر من شيخ الأزهر في الفترة المقبلة المشاركة الفعلية الناجزة، ويقترح في هذا الإطار بدء زيارات لرؤساء الدول العربية لمحاولة تغيير قناعاتهم والتأثير عليهم إيجابياً، وتدشين حملة دولية لكسر الحصار، وزيادة حملات التبرع باسم الأزهر الشريف.

كما يقترح عبدالرؤوف تنسيق مشيخة الأزهر والجهات المعنية والمهنية، في فتح باب التطوع للأطباء والفئات المهنية التي يمكنها أن تخفف من أثر العدوان على أهالي غزة، بجانب زيارة الشيخ الطيب لجرحى العدوان في المستشفيات المصرية بشكل دوري، واستمرار التأثير في الرأي العام عبر زيادة الخطب والبيانات المناسبة لتصاعد الأحداث.

ويشدد المحلل المتخصص في الشأن الفلسطيني على أهمية تقدير الأزهر؛ شيخاً ومشيخة، للموقف الإستراتيجي لمعركة «طوفان الأقصى»، كونها معركة تجاوزت مسار الصراع العربي الصهيوني المعتاد، انطلاقاً من أن السابع من أكتوبر الماضي بات لحظة إعادة تشكيل النظام العربي والدولي، بما يستلزم الارتقاء إلى مستوى الحدث بشكل خارج السياق التقليدي المحدود، لتكون تحركات شيخ الأزهر في الفترة المقبلة ذات أثر فاعل وبشكل مؤثر وناجز في مجريات الأحداث المتصاعدة.

من جانبه، قال مصدر مقرب من مشيخة الأزهر تحدث لـ«المجتمع»: إن الشيخ الطيب ملتزم بسقف الدولة المصرية، في التعامل مع ملف القضية الفلسطينية.

ويوضح المصدر أن الطيب يقدم مقاربة مختلفة في وسائل دعم القضية تتسم بلغة مستقلة ومفردات لا تعترف بدولة الاحتلال وتصفها بالكيان الصهيوني، ويحظى بمساحات تحرك مناسبة لمكانته الدينية بالتنسيق مع مؤسسات الدولة.■

تركيا.. تحديات «العدالة والتنمية» في المرحلة المقبلة

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

لم تكن نتيجة الانتخابات المحلية الأخيرة في تركيا متوقعة لدى أكثر المتشائمين في صفوف حزب العدالة والتنمية الحاكم، ولا أكثر المتفائلين في صفوف حزب الشعب الجمهوري المعارض، ففي حين كان يجري الحديث قبل الانتخابات عن المنافسة الشرسة في كل من أنقرة وإسطنبول، مع تصريحات لقيادات العدالة والتنمية بدت واثقة من استعادة بلدية الأخيرة (رغم أن استطلاعات الرأي والتوقعات الموضوعية لم تؤكد ذلك)، أتت النتيجة مختلفة تماماً عن كل سجل الحزب الحاكم في الانتخابات منذ تأسيسه.

حل حزب «العدالة والتنمية» لأول مرة منذ عام ٢٠٠٢م ثانياً في الانتخابات التركية، وبعد غريمه التقليدي الشعب الجمهوري، وبتراجع نسبة التصويت له، وبفقدان بلديات إضافية غير أنقرة وإسطنبول اللتين احتفظ بهما الحزب المعارض.

وعلى عكس بعض المخاوف، خرج الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بخطاب هادئ اعترف فيه بالنتائج، وأكد أن ترسيخ التجربة الديمقراطية والرضوخ لرأي الشعب مكسب لتركيا جميعها، ولذلك فالمنتصر في الانتخابات هو الشعب التركي كله.

ومع هذا الاعتراف، دعا أردوغان حزبه؛ قيادة وأنصاراً، للنظر في الأسباب الذاتية التي تسببت بهذه النتيجة، محذراً من إلقاء اللوم على الشعب بدل النقد الذاتي، مما قد يخسر الحزب أكثر فأكثر، وربما يتسبب باختفائه عن الساحة السياسية كأحزاب أخرى قديماً.

وفي معرض تعليقه على نتائج الانتخابات، قال أردوغان: إن ما حصل أكثر بكثير من مجرد فقْد لأصوات الناخبين، بل يرقى لـ«فقْد الروح» تسبب بفجوة ثقة كبيرة مع الناخبين؛ ولذلك فقد أكد أن حزبه سيدرس أسباب التراجع وفحوى الرسائل التي حملها صندوق الاقتراع والعمل بموجبها لاستعادة هذه الثقة، وأكد الرجل أن السنوات الأربع المقبلة، المدة الزمنية المتبقية حتى الانتخابات الرئاسية والتشريعية المقبلة، مطلوب فيها العمل على مختلف الملفات ومن مختلف الأطراف بعيداً عن ضغط الانتخابات.

في تقييم ما سبق، نقف على المعطيات التالية:

أولاً: إعلان العدالة والتنمية استجابته لنتائج الانتخابات والعمل بمقتضاها.

ثانياً: مرحلة جديدة في السياسة الداخلية للبلاد.

ثالثاً: ملفات مهمة ستمنح الأولوية في المرحلة الجديدة.

رابعاً: أن الانتخابات الأخيرة ورغم كونها محلية أو بلدية ستكون أحد مدخلات الانتخابات القادمة في عام ٢٠٢٨م، وأحد محددات نتائجها.

استقرار المشهد السياسي

ورغم نتائج الانتخابات المحلية الأخيرة، يبقى المشهد السياسي في البلاد مستقراً، فالرئيس أردوغان ما زال على رأس عمله في ظل نظام رئاسي يمنحه الصلاحيات، وهو إلى ذلك يتمتع بأغلبية البرلمان من خلال تحالف الجمهور الذي يدعمه، لكن كل ذلك لا يحُول دون الحديث عن مرحلة جديدة ومختلفة في تركيا عنوانها بعض التحديات والملفات التي يواجهها أو سيواجهها العدالة والتنمية في الشهور والسنوات المقبلة.

في المقام الأول، كان من مفاجآت ما بعد الانتخابات انفتاح الحزب على الشعب الجمهوري المعارض بلقاء بين أردوغان ورئيس الأخير أوزغور أوزال، بعد سنوات من آخر لقاء بين رئيسي الحزبين، وهو وإن أتى إثر طلب من الحزب المعارض ضمن زيارات لعدة أحزاب، فإنه وافق رغبة أو موافقة لدى العدالة والتنمية أيضاً.

من دوافع هذا الانفتاح تراجع حدة المشهد الانتخابي الزاخر بالمناكفات والتراشقات، والضرر الذي يتسبب به الاستقطاب السياسي على الاقتصاد، وما يحتاجه البرنامج الاقتصادي الإصلاحي من هدوء داخلي وفي السياسة الخارجية، وقناعة الحزب الحاكم أن حدة الاستقطاب أضرته وأفادت خصومه في الانتخابات، والتفاعل الإيجابي مع المشهد السياسي المستجد بعد الانتخابات، فضلاً عن حرص العدالة والتنمية على دعم الشعب الجمهوري وتعاونه في ملفات بعينها في مقدمتها وضع دستور جديد للبلاد.

الدستور الجديد

والدستور الجديد نفسه أحد أهم الملفات التي سيهتم بها العدالة والتنمية في المستقبل القريب، ثمة إجماع بين الأحزاب المختلفة على ضرورة صياغة دستور مدني للبلاد يحل مكان دستور عسكر الانقلاب الذي صيغ في عام ١٩٨٢م وما زال يحمل «روح الانقلاب» رغم ١٩ تعديلاً عليه، كما يقول السياسيون في البلاد، ورغم أن محاولات سابقة باءت بالفشل، فإن

الدستور الجديد أحد أهم الملفات التي سيهتم بها «العدالة والتنمية» في المستقبل القريب

من المحطات المهمة المؤتمر العام لـ«العدالة والتنمية» ليكون محطة للمراجعة والمحاسبة

أردوغان: الحزب لا يحتاج مجرد أسماء أخرى وإنما روح جديدة وحماسة تُبثُّ داخله وتُحييه

العدالة والتنمية ما زال يرى ضرورة العمل على هذا الملف، خصوصاً أن أردوغان يراه أحد المشاريع الكبيرة التي يريد قرن اسمه وختم حياته السياسية بها.

ولذلك، فقد أجرى رئيس البرلمان، القيادي السابق في العدالة والتنمية، نعمان كورتلموش، جولة أولى على الأحزاب الممثلة في البرلمان لاستمزاج آرائها بخصوص الدستور الجديد، لكن لا بد من الإشارة إلى أن توافق الأحزاب على ضرورة كتابة دستور جديدة لا يعني التوافق على صياغته بالضرورة، ذلك أن هناك خلافات أساسية وعميقة بينها بخصوص عدد لا بأس به من المواد، بل على أصل النظام السياسي بين رئاسي وبرلماني.

المؤتمر العام

ومن المحطات القادمة المهمة المؤتمر العام لحزب العدالة والتنمية الذي حرص على أن يأتي في مرحلة ما بعد الانتخابات؛ ليكون بمثابة محطة للمراجعة والمحاسبة والتجاوب مع رسائل الصندوق، وقد أعلن الرئيس أردوغان عن «إطلاق مسار المؤتمر العام» الذي يبدأ عادة بعدة اجتماعات مع الكتلة البرلمانية ومجموعة رؤساء البلديات ورؤساء فروع الحزب، ثم يستمر بمؤتمرات فرعية في أحياء المدن الكبرى ثم في المدن والمحافظات ليصل محطته النهائية في المؤتمر العام على مستوى تركيا.

وإذا كان من عادة الحزب الإتيان بنسبة تغيير قريبة من ٤٠% في الهيئات الاستشارية والتنفيذية في الحزب في كل مؤتمر، فإن ذلك لن يكون كافياً في المؤتمر القادم، فالحزب يدرك أن رسائل الاحتجاج في صندوق الاقتراع لن يعالجها تغيير بعض الأسماء، وإنما يحتاج الأمر لمراجعة مجموعة الأفكار والسياسات والخطاب والتحالفات التي يتبناها الحزب في السنوات الأخيرة، فضلاً عن الآثار المترتبة على المدة الطويلة في الحكم من ترهل وتراجع أداء وضعف انتماء الفكرة وغير ذلك؛ ولذلك فقد كان لافتاً أن أردوغان في تصريح له أمام كتلة حزبه البرلمانية قال: إن الحزب لا يحتاج مجرد أسماء جديدة، وإنما روح جديدة، وديناميات جديدة، وحماسة جديدة تُبثُّ داخل الحزب من خلال الأسماء المضافة.

مرتبطاً بفكرة التجديد من خلال المؤتمر، قد يكون هناك تعديل وزاري في المدى المنظور، وإن كان احتماله وكذلك تأثيره أقل من التغيير المتوقع والمنتظر في المؤتمر العام للحزب.

وإضافة لكل ما سبق، يبقى هناك سؤال مهم وجوهري لم يطرح حتى اللحظة؛ وهو خلافة أردوغان في الحزب والدولة، حيث إنها العهدة الرئاسية الأخيرة له دستورياً، باستثناء إذا ما طلب البرلمان نفسه تبكير الانتخابات، ويرتبط بهذا السؤال سؤال آخر عن مرشح الحزب في الانتخابات الرئاسية المقبلة، التي يفترض نظرياً أنها ستكون الأولى التي سيخوضها العدالة والتنمية بدون أردوغان.

في الخلاصة، دخل العدالة والتنمية ومعه تركيا بعد الانتخابات المحلية الأخيرة في مرحلة جديدة لها معادلات مختلفة، وتركيزُ أردوغان على أن هناك ٤ سنوات بلا انتخابات، فيه إشارة واضحة على إيلاء الأولوية للملفات المهمة والثقيلة بدءاً بالاقتصاد ومروراً بما سبق ذكره من ملفات وربما وصولاً لملفات شائكة مثل المسألة الكردية.

وفي كل الأحوال، فإن فرص الحزب في الانتخابات الرئاسية والتشريعية المقبلة في عام ٢٠٢٨م ستعتمد على عوامل عديدة؛ في مقدمتها اثنان: المناخ السياسي والاقتصادي في البلاد في وقت الانتخابات وهو ما يصعب توقعه من الآن، ومدى استجابة العدالة والتنمية مع رسائل الانتخابات المحلية واقتناع الشارع بهذه الاستجابة، الذي ستتضح بعض إشاراته في الشهور المقبلة.■

اليهود.. البداية والنهاية (7)
اللحظات الأخيرة في حياة موسى عليه السلام

الشيخ خالد آل عبد اللاه
داعيـــــة إسلامـــــي

مضت أربعون سنة تاه فيها الأسباط في صحراء سيناء، مات فيها موسى، وهارون، عليهما السلام، وهلك فيها جيلُ الأسباط المتمردين، الذين آذوا موسى، ولم يبق منهم إلا ﴿رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ (المائدة: ٢٣)؛ وهما: يوشع بن نون، ورجلٌ يقال له كالب.

جاء في السفر الثالث: أنه لما أوشكت الأربعون على التمام أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يكتب أسماء المقاتلة من بني إسرائيل، ممن يحمل السلاح، وأن يجعل نقيباً على كل سبط من الأسباط الاثني عشر، وما ذاك إلا ليتأهبوا لقتال الجبارين عند الخروج من التيه[1].

الأُمنية الموسوية:

وبينما كان موسى مؤملاً دخول الأرض المقدسة التي طال شوقه لها، أتاه ملكُ الموت قائلاً له: أجب ربك جل جلاله، فلطمه موسى على عينه ففقأها، فشكى ملك الموت ذلك إلى ربه، فقال الله له: «ارجع إلى عبدي، وقل له: فليضع يده على جلد ثور، فله بكل شعرة وارت يده سنة»، فأتاه فقال له، فقال: «ما بعد ذلك؟» قال: الموت، قال: «فالآن من قريب، رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر»، قال: فشمه شمة فقبض روحه[2].

فموسى كان مؤملاً دخول الأرض المقدسة، فلما دنى أجله قبل أن يدخلها، سأل ربه أن يميته قريباً منها، وقد كان ما تمناه، فقد أخبرنا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، أنه رأى موسى وهو يصلي في قبره الكائن بقربها قال: «فلو كنت ثَمَّ -أي هناك- لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»، قال النووي: وأما سؤاله الإدناء من الأرض المقدسة، فلشرفها وفضيلة من دفن فيها من الأنبياء وغيرهم، وقال بعض العلماء: ويؤخذ من هذا استحباب الدفن في المواضع الفاضلة، والمواطن المباركة، والقرب من مدافن الصالحين[3].

لقد انتهت حياة موسى ولم يدرك ما تمنى، مات موسى عليه السلام بعدما

جاهد في الله حق جهاده، موسى الذي كلمه ربُّه جل جلاله تكليماً، موسى الذي صُنع على عين الله فنال محبة الله، موسى الذي اصطفاه الله تعالى بكلامه وخط له التوراة بيده، فخلّف من ورائه شريعة عظيمة، وأمة كثيرة[٤].

مات موسى عليه السلام، ومات هارون قبله بسنوات ثلاث، ورحل جيل الأسباط المتمردين الذين تربوا على الكرامات والهبات، ثم خلف من بعدهم جيل التحرير، جيل جمع بين شظف العيش وقساوة الصحراء، وشجاعة موسى وتعاليم السماء.

خير خلف لخير سلف:

تولى قيادة هذا الجيل فتى موسى وتلميذُه يوشعُ بن نون، الذي جاء ذكره في الكتاب تلميحاً، وفي السُّنة تصريحاً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾ (الكهف: ٦٠)، وفي البخاري: «وأخذ حوتاً في مكتل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون»[٥].

ولما انتهت مدة التيه، خرج يوشع بن نون بهذا الجيش قاصداً الأرض المقدسة فحاصرها، وكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر، في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وهو يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا ولَمَّا يَبْنِ بِهَا، ولاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتاً ولَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، ولاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَماً أَوْ خَلِفَاتٍ وهو يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا، فَغَزَا، فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلاَةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيباً مِن ذلكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حتَّى فَتَحَ اللَّه عليه».

وفي مسند أحمد من حديث أبي هريرة

موسى كان مؤملاً دخول الأرض المقدسة فلما دنى أجله سأل ربه أن يميته قريباً منها

يوشع بن نون دخل الأرض المقدسة فاتحاً متواضعاً لربه شاكراً له على الفتح والنصر

بنو إسرائيل غلبت عليهم طباعهم الدنيئة فحرَّفوا الكلام وبدَّلوا قولاً غير الذي قيل لهم

بسند صححه الألباني: «إن الشَّمسَ لم تُحبَسْ على بشرٍ قط إلَّا ليُوشعَ لياليَ سار إلى بيتِ المقدسِ»، ولماذا حُبست الشمس؟

قال العلماء: لأنه قد دنا بجيشه من الأرض المقدسة عصر الجمعة، وقد خشي أن يدخل عليه الليل قبل أن يفتحها، ولأن القتال يوم السبت كان محرماً على بني إسرائيل، مما شأنه أن يعطي الأعداء فرصة لتقوية جيشهم، وإصلاح أسوار المدينة؛ لذا توجه يوشع إلى الشمس مخاطباً لها، ثم توجه متضرعاً إلى ربها أن يحبسها عن الغروب حتى يتم الفتح والنصر، فكان الفتح ما بين المغرب والعصر[٦].

الطبع يغلب التطبُّع:

لما دخل يوشع بن نون الأرض المقدسة فاتحاً، أراد أن يظهر تواضعه لربه سبحانه شكراً له على ما مَنّ به عليهم من الفتح والنصر، فأمر بني إسرائيل أن يدخلوا المدينة مطأطئين رؤوسهم ذلاً وتواضعاً لمن أعزهم ونصرهم، وأن يقولوا «حِطَّة»؛ أي حُطَّ عنا خطايانا التي سلفت بسبب إعراضنا عن الدخول أول مرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ٥٨)، فماذا كان الجواب: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٩).

لقد رجعت حليمة إلى عادتها القديمة! فساروا على طباع أسلافهم، فخالفوا ما أُمروا به قولاً وفعلاً؛ ففي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم -مقعدتهم- وهم يقولون: حبة في شعرة».

نعم الطبع يغلب التطبع، فقد حاولت بنو إسرائيل أن تتطبع بالأخلاق والمبادئ الطيبة، لكن طباع اللؤم المتغلغلة في جيناتهم الوراثية قد طغت وغلبت عليهم فحرفوا الكلام وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم وهذه حرفتهم المتقَنَة.

يقول صاحب «معركة الوجود»: «لليهود مقدرة عارمة على تزييف الوقائع واختلاقها، وتحريف الحقائق عن مواضعها، حتى كأنها حرفة حياتهم، لا يستشعرون في مزاولتها ما يستشعره غيرهم من لوم الضمير، وتأنيب النفس، إذ اليهود قد ماتت مشاعرهم وقست قلوبهم؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ (المائدة: ١٣)، فاليهود يحرفون كل شيء حتى لو كان كلام الله، وهم لا يفعلون ذلك ناسين أو جاهلين، وإنما يزاولون التحريف عامدين، عالمين بخطورة وضراوة ما يفعلون»[٧].

والتاريخ المعاصر شاهد على براعتهم في تغيير الحقائق وتزييف الوقائع، فلو رأيتهم كيف ادَّعَوا حق العودة إلى فلسطين، لو رأيتهم كيف ادعوا أن أهل فلسطين قد باعوا لهم أرضها، لو رأيتهم كيف قلبوا الحق باطلاً، والباطل حقاً، فجعلوا من الغاصبين المحتلين أصحاب أرض، وجعلوا من أهل فلسطين والمقاومين جماعات إرهابية، لو رأيتهم كيف زيفوا جُلّ حقائق التاريخ، لعلمت أن التحريف حرفة حياتهم التي يزاولونها بإتقان.

تقول د. أنيسة فخرو: لقد استطاع اليهود تحريف الدين، فهل يصعب عليهم تحريف التاريخ والجغرافيا؟

إن الصهيونية العالمية خرجت من عباءة اليهودية المحرّفة، ووضعت هدفاً لها يتمثل في احتلال أرض فلسطين بتزييف التاريخ والجغرافيا، ثم احتلال بقية أقطار الوطن العربي لتأسيس دولة تمتد من النيل إلى الفرات.

وما الادعاءات الحالية بمطالبة الكيان الصهيوني بتعويضات من بعض الدول العربية عن ممتلكات اليهود منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الآن إلا دليل على التحريف، فها هي «إسرائيل» تطالب السعودية بـ١٠٠ مليار دولار، وتطالب الحكومة المصرية برد أملاك اليهود المصريين الذين تركوا مصر منذ بداية عام ١٩٤٨م.

ويتناسون أن الصهيونية هي التي بثت الرعب في قلوب اليهود العرب في مختلف الأقطار العربية، وحرّفت الأحداث وأرغمتهم أن يهاجروا إلى «أرض الميعاد» لكي تزداد أعدادهم هناك، كما يتناسون الرعب والمجازر التي فعلوها لتهجير الشعب العربي الفلسطيني صاحب الأرض

الصهيونية خرجت من عباءة اليهودية المحرّفة واحتلت أرض فلسطين بتزييف التاريخ

الأصلي من مدنهم وقراهم واحتلالها قسراً وقوة ثم يدّعون زوراً وتحريفاً أنهم باعوا لهم الأرض[٨].

مفارقة الختام:

تتشابه الأحداث بين دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة، ودخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً، فكلاهما كان بعد حرمان واضطهاد، لكن شتان بين دخول النبي الكريم، الذي دخلها وهو راكب على ناقته متواضعاً وقد كاد طرف لحيته أن يمس مَوْرك رحله مما يطأطئ رأسه خضوعاً لله عز وجل ومعه الجند والجيوش يقتدون بفعله، ودخول بني إسرائيل الذين غيّروا وبدّلوا ما أمرهم الله به قولاً وفعلاً، فدخلوا ساخرين مستكبرين على أوامر الله عز وجل.

وعلى أي حال، فإن فتح الأرض المقدسة قد تحقق بقيادة يوشع بن نون الذي سار على عهد موسى، وهارون، حاكماً بكتاب الله التوراة مدة سبع وعشرين سنة حتى دنا منه الأجل ولحق بإخوانه في الرفيق الأعلى، لتطوى صفحة أخرى من شهادة التاريخ على بني إسرائيل، ولنفتح في مقالنا القادم صفحة جديدة لنرى من تولى قيادتهم بعد موسى، وهارون، ويوشع بن نون.■

الهوامش

(١) قصص الأنبياء، محمود المصري، قصص الأنبياء، ابن كثير، بتصرف.

(٢) أصل الحديث رواه مسلم وأحمد في مسنده.

(٣) شرح مسلم للنووي.

(٤) بتصرف من كلام ابن تيمية في المدارج، وابن كثير في القصص.

(٥) وقد قال بنبوته الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: وهو قول الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» فقال: هذا النبي هو يوشع بن نون.

(٦) صحيح القصص النبوي.

(٧) معركة الوجود، عبدالستار فتح الله.

(٨) مقال «اليهودية المحرفة» بجريدة «الراي» الكويتية.

«لعدوهم قاهرين!»

د. يوسف السند
إمام وخطيب بـــوزارة الأوقـــاف والشؤون الإسلاميـــة بالكـــويت

الحمد لله نصر عبده وصدق وعده وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده.. الحمد لله نصير المستضعَفين وظهير المؤمنين وقاهر الجبارين المعتدين.

قال عبدالله بن الإمام أحمد: وجدت بخط أبي، ثم روى بسنده إلى أبي أمامة قال: قال صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله، وهم كذلك»، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[1].

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِن أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أبوابِ دِمَشْقَ ومَا حَوْلَهُ، وعَلَى أبوابِ بيتِ المَقْدِسِ ومَا حَوْلَهُ، لَا يَضُرُّهُم خِذْلَانُ مَن خَذَلَهم، ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ إلى أنْ تَقُومَ السَّاعَةُ[2]، ومن حديث المُغيرَة، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[3].

الحمد لله.. هذه بشارات نصر وتمكين، ومدعاة صبر وتثبيت، ودعوة في الاستمرار لدعم الطائفة المنصورة، والعصابة المؤيَّدة حتى يأتي نصر الله والفتح المبين للمسجد الأقصى المبارك ولجميع فلسطين!

كان لـ«حماس» ٦ أهداف استراتيجية من عملية «طوفان الأقصى»، هي: أخذ رهائن للتفاوض عليهم، إعادة القضية الفلسطينية إلى الواجهة، تغيير الواقع الأليم الذي يعاني منه القطاع منذ سنوات، إثارة حرب إقليمية، إذلال الكيان الصهيوني، إفشال السلام المتوقع مع الصهاينة.

معظم أهداف «حماس» تحققت بالفعل، فالسلام مع الصهاينة قد تأجل، ووضعت القضية الفلسطينية على رأس الأحداث في العالم وما يصاحب ذلك من دعم غير مسبوق لها من شعوب العالم، فالإحصاءات تقول: إن أكثر من ٩٥٪ من المظاهرات حول العالم تؤيد الفلسطينيين، وأقل من ٥% من المظاهرات تؤيد الصهاينة المحتلين، وأذلت الكيان الصهيوني وضربت صلب العقيدة الصهيونية، وورطت الكيان في حرب عصابات خاسرة، علمنا التاريخ بأن أعتى الجيوش يخسر في حروب العصابات كما في فيتنام وأفغانستان[4].

تأمَّل المؤشرات:

المؤرخ «الإسرائيلي» إيلان بابيه تحدث عن مؤشرات تؤكد بداية نهاية المشروع الصهيوني، وذكر أن المؤشر الأول يتمثل في الحرب اليهودية الأهلية التي شهدناها قبل ٧ أكتوبر الماضي، بين المعسكر العلماني والمعسكر المتدين في المجتمع اليهودي في «إسرائيل»، والمؤشر الثاني هو الدعم غير المسبوق للقضية الفلسطينية في العالم، واستعداد معظم المنخرطين في حركة التضامن لتبني النموذج المناهض للفصل العنصري الذي ساعد في إسقاط هذا النظام في جنوب أفريقيا، لافتاً إلى فترة جديدة بتحول الضغط من المجتمعات إلى الحكومات.

فيما يأتي المؤشر الثالث وهو العامل الاقتصادي، تبعاً لوجود أعلى فجوة بين من يملك ومن لا يملك، بالإضافة إلى رؤية قاتمة لمستقبل الصلابة الاقتصادية لدولة «إسرائيل»، والمؤشر الرابع هو عدم قدرة الجيش على حماية المجتمع اليهودي في الجنوب والشمال، أما المؤشر الخامس يتمثل في موقف الجيل الجديد من اليهود، بما في ذلك في الولايات المتحدة، الذي يأتي على عكس الأجيال السابقة، لافتاً إلى أن على حركة التحرير الفلسطينية الاستعداد لملء الفراغ بعد انهيار هذا المشروع.

وخلال ندوة صحفية في مدينة حيفا، قال: إن بداية نهاية هذا المشروع هي مرحلة طويلة وخطيرة، ولن نتحدث عن المستقبل القريب للأسف، بل عن المستقبل البعيد، لكن يجب أن نكون جاهزين لذلك، معرباً عن تفاؤله بـ«أننا في مرحلة بداية نهاية المشروع الصهيوني، ويجب أن نكون جزءاً من الجهود لتقصير هذه الفترة»[5].

طلاب جامعات غربية مع القضية الفلسطينية:

جامعات وقف طلابها مع القضية الفلسطينية، رغم صعوبة الموقف من مواجهات مع رجال الأمن والفصل من الدراسة وخسارة رسوم الدراس.. وغيرها، هذا الموقف قهر الصهاينة وأوجعهم وأغمهم حزناً وهمّاً وكرباً!

ومما أغضب الصهاينة وأثارهم وقهرهم، خروج طلاب هذه الجامعات في أوروبا وأمريكا منددين بالإبادة الإنسانية في غزة، ومطالبين بمحاكمة قادة الصهاينة المسؤولين عن الإبادة!

وهؤلاء بعض الطلاب في: أمريكا، وسويسرا، والدانمارك، هولندا، وأستراليا، وإسبانيا، وألمانيا، وكولومبيا، والسويد، وآيسلندا، واليابان.. وغيرهم.

وقررت محكمة العدل الدولية (ICJ) إصدار مذكرة اعتقال لنتنياهو[6] لاستمراره في حرب الإبادة في غزة؛ مما جعله على حافة الانهيار العصبي، وسوف يُقهر الصهاينة ويموتون غيظاً حين تدخل جحافل الإسلام وجند الإيمان الأرض المباركة مهللين ومسبحين ومكبرين؛ ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم).■

الهوامش

(١) وأخرجه أيضاً الطبراني، قال الهيثمي في المجمع ورجاله ثقات.
(٢) أخرجه أبو يعلى (٦٤١٧)، والطبراني في الأوسط (٤٧)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٨٤).
(٣) رواه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١).
(٤) «طوفان الأقصى هزيمة الصهاينة»، إسماعيل الشريف، باختصار وتصرف.
(٥) اسأل أكثر، مباشر RT.
(٦) جزء من تعليق د. عبدالله النفيسي في «إكس».

صيغ الوحدة السياسية في أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر (4)

صيغة الجامعة الإسلامية

د. إبراهيم نويري
كاتب وباحث أكاديمي - الجزائر

كنا قد عرضنا في المقال السابق التوجه الثاني نحو أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر فيما يتعلق بمسألة صيغ الوحدة السياسية بعد مرحلة سقوط الخلافة الإسلامية، وذكرنا الصيغة الثانية وهي الوحدة السياسية والإدارية، فيما نستعرض في هذا المقال التوجه الثالث المتمثل في صيغة الجامعة الإسلامية.

التوجه الثالث: صيغة الجامعة الإسلامية:

التوجه الثالث الموجود في الخطاب الإسلامي المعاصر يؤمن بأهمية وضرورة إعادة تكتل العالم الإسلامي على أسس واضحة، قوامها الأيديولوجية الإسلامية المؤسَّسة على عقيدة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

وأصحاب هذا التوجه لا يعترضون على فكرة الوحدات الأقاليمية الجزئية، كما أنهم لا ينفون أثر وقيمة الأعمال والجهود التي تمهد لوحدة المسلمين السياسية والإدارية الشاملة، سواء على المستوى النظري أو العملي، غير أنهم ينبّهون إلى أنها ليست الصورة النهائية لعملية الوحدة المرتجاة، بل هي مرحلة ينبغي أن يتمّ فيها تذليل العراقيل والأوهاق التي تحُول دون تبلور الصيغة الشرعية المطلوبة لوحدة المسلمين السياسية؛ كما يلاحظ أن أصحاب هذا التوجه لا يتشبثون بالتسمية التاريخية لهذه الوحدة، المتمثلة في نظام الخلافة، فالعبرة عندهم إنما تكون بالمقاصد والمعاني، لا بالألفاظ والمباني.

لذلك نجد أن بعض أصحاب هذا الرأي يقترحون بعض التصورات والصيغ، التي قد تكون الأمة الإسلامية بحاجة إليها، في اللحظة المناسبة، التي تتهيأ فيها الظروف، وتزول فيها موانع الوحدة، وهذه طائفة نماذج من تصورات هذا التوجه:

كان أعلى صوت يحذر من عواقب وهن الأمة الإسلامية، ويدعو إلى ضرورة اتحاد العالم الإسلامي في جامعة إسلامية موحدة، داخل إطار خلافة تجعل الدين والدولة شيئاً واحداً، هو صوت المصلح المشهور جمال الدين الأفغاني، الذي يرى أنّ أضمن سبيل للوصول إلى تلك الأهداف والمقاصد الجليلة، القيام بثورة ثقافية تقرّب وجهات النظر، وتجعل المسائل الخلافية مسائل ثانوية لا مسائل أساسية لها مقام الأولوية في نشاط

المسلمين الفكري والسياسي والإداري.

وذلك من أجل إعطاء قيمة ملموسة لمفهوم الجامعة الإسلامية، التي تعني في تفكيره ألا تقف علاقات الأقاليم الإسلامية والقوميات التي يضمّها عالم الإسلام عند حدود حسن الجوار، أو تحقيق بعض المصالح الأمنية والاقتصادية، وإنما التأكيد على وجود وحدة في الحضارة الإسلامية، يتجسد من خلالها مفهوم الانتماء الإسلامي، وأن يكون بمقدور هذه الوحدة جعل عالم الإسلام بأقاليمه وقومياته ومكوّناته المتنوّعة منظومة حضارية متميز بين الحضارات القائمة والفاعلة في العالم المعاصر[1].

إن الجامعة الإسلامية التي تتضمن إحياء الانتماء الإسلامي، وتأسيس النشاط المدني والحضاري على الأصول الإسلامية، لا تلغي الوطنية ولا القومية، بل تبعثهما وتُحييهما، لكنها ترفض في وضوح الوقوف عند تخومهما؛ لأنها إطار عام شامل يجعل الفروع في خدمة الأصل، والأصل هو وحدة الأمة، وتقوية كيانها.

ومما يُحسب للأفغاني أنه أطلق صيحته إبان ترهّل الخلافة العثمانية، وبدء الحملة الغربية لتفتيت وحدة العالم الإسلامي، بالرغم أن هذه الخلافة باتت بلا مضمون رسالي خلال سنواتها الأخيرة، فإن الأفغاني حاول إيقاظ الغافلين السادرين، لعلمه بحقيقة أنّ الغرب يخشى أن تقوم نهضة جديدة في العالم الإسلامي تملأ هذا الوعاء من جديد[2].

أمة واحدة

كما يُعدّ الشيخ عبدالرحمن الكواكبي (١٨٥٤ – ١٩٠٢م) الرائد الثاني بعد الأفغاني في المناداة بالجامعة الإسلامية، وإعادة بعثها على أسس جديدة، بعدما آلت إليه أوضاع الأمة المسلمة على الصعيد السياسي، وما بلغته من تردٍّ شديد.

ينطلق فكر الكواكبي السياسي من مسلَّمة دينية؛ وهي أن المسلمين أمة واحدة، فكيف يمكن أن تنعكس هذه الحقيقة الدينية في نظام سياسي، يستجيب لطموحات هذه

الأفغاني: جعْلُ عالم الإسلام بأقاليمه وقومياته منظومة حضارية متميزة بين حضارات العالم المعاصر

المرجعية الدينية؟

ويعتقد الكواكبي بأن مسألة الوحدة الإسلامية التي يفضل تسميتها بـ«الجامعة الإسلامية» أمر ضروري لا بد منه، ليس فقط لاستنادها إلى نصوص دينية قطعية، وإنما أيضاً لتعلقها بوجود المسلمين كأمة لها هيبة ومنزلة بين الأمم، غير أن الكواكبي يؤمن بأن البداية الصحيحة ينبغي أن تكون أولاً بين العرب؛ لأنهم أول من حمل راية الإسلام ولأن الوحي عربي.

ولعل هذه الفكرة هي السبب في اعتبار بعض الكتّاب ذوي النزوع القومي الكواكبي مفكراً قومياً عربياً أكثر منه مفكراً إسلامياً، غير أن من يراجع أدبيات الخطاب الفكري للكواكبي، لا سيما كتاباته السياسية، يدرك مدى إيمان الكواكبي بوحدة المسلمين السياسية، كما يدرك بأن مناهضته للكثير من الولاة والحكام الذين لم يحسنوا تمثيل الدولة العثمانية في البلاد العربية، كانت وراء مناداته بهذه الفكرة.

بل لعل ما يدلّ على أصالة إيمان الكواكبي بالجامعة الإسلامية، دعوته إلى تجديدها وبعثها في صورة حديثة تستجيب للأفكار السياسية التي يقدمها الإسلام، وذلك قبل الإعلان الفعلي لسقوط الخلافة العثمانية، التي كانت في نظره مجرد شبح لا قدرة له على توفير الحماية الإدارية والأمنية لدار الإسلام، فضلاً عن عدم سيادتها على الكثير من أقاليم البلاد الإسلامية، فسلطان مراكش (المغرب الأقصى)، وحكام إيران، وبعض حكام الجزيرة العربية –الذين كانوا خارج سلطة الأتراك– وحكام عدد من أقاليم ومناطق إسلامية في أفريقيا وآسيا لم يكونوا

الكواكبي: بعث هيئة سياسية وإدارية تجمع أطراف العالم الإسلامي في شكل اتحاد ذي طابع فيدرالي

يعترفون أصلاً بسلطة هذه الخلافة.

وبالرغم من موقف الكواكبي السلبي من سلطة الدولة العثمانية، التي كانت تمثل آخر أنموذج للخلافة الإسلامية، فإنه يؤمن بإمكانية بعث هيئة سياسية وإدارية جديدة تجمع أطراف العالم الإسلامي، تأخذ شكل اتحاد عصري ذي طابع فيدرالي، على غرار صورة الاتحاد الذي حصل بين عدد من مقاطعات ألمانيا، أو صورة الاتحاد بين الولايات المتحدة الأمريكية[3].

وقد قدم الكواكبي بعض المرئيات والمقترحات، التي قد تساعد على تحقيق هذه الهيئة السياسية الجامعة لأطراف العالم الإسلامي، أهمها ما يلي:

– يجب أن تقوم الخلافة على أسس الانتخاب والشورى، والتعاون على قدم المساواة بين البلدان الإسلامية.

– أن يكون الخليفة عربياً قرشياً مستجمعاً للشروط الشرعية المنصوص عليها.

– يكون مركز الشورى العامة مكة المكرمة عندما يصادف الحج موسم الشتاء، والطائف عندما يكون الحج مصادفاً لفصل الصيف.

– تتشكل هيئة الشورى العامة من نحو مائة عضو منتخبين ومندوبين من قِبل حكام أو ولاة أقاليم البلدان الإسلامية، على أن تكون وظائفها أو مناشطها منحصرة في شؤون السياسة العامة الدينية فقط.

– يحق للخليفة أن ينيب عنه من يترأس هيئة الشورى العامة للبلاد الإسلامية.

– الخليفة لا يكون تحت إمرة قوة عسكرية مطلقاً، ويُذكر اسمه في الخطبة قبل أسماء السلاطين والحكام المحليين، ولا

يُذكر في المسكوكات.

- ترتبط بيعة الخليفة بشرائط مخصوصة ملائمة للشرع، وإذا تخلف شرط منها ترتفع بيعته، على أن يُعاد تجديد البيعة كلّ ٣ سنوات[٤].

لعل أبرز ما يُفهم من هذه المقترحات أن الشيخ الكواكبي يؤمن بأن منصب الخليفة ليس منصباً سياسياً محضاً، بل هو منصب ديني في المقام الأول، وأنه ذو علاقة وطيدة بوحدة المسلمين العامة.

ثم إن مقترحات الكواكبي تكاد تنصبّ على خليفة المسلمين، وطريقة تبوئه هذا المقام، أكثر من انصبابها ومعالجتها لصورة الوحدة السياسية الإدارية للمسلمين والعالم الإسلامي، باستثناء الإشارة إلى صورة الاتحاد الفيدرالي، لكننا قد نجد له عذراً بالنظر إلى الواقع الذي كان يعيش في نطاقه، حيث لم يصل التفكك مداه بين الأقطار الإسلامية، ولم تتبلور بعد صورة الدولة القومية أو القُطْرية، التي جعلها الاستعمار الغربي بديلاً لنظام الخلافة الإسلامية.

النضال ضد الاستعمار

كما يُحسب مصطفى كامل (١٨٧٤ - ١٩٠٨م) من جيل رواد فكرة الجامعة الإسلامية، فقد أدرك هذا السياسي المصلح بأن الاستعمار الغربي وجميع القوى المناوئة للإسلام وأمته، يهدف إلى عزل مصر؛ لكي يحُول دون تأثيرها في محيطها الطبيعي، الذي هو العالم العربي والإسلامي، فأخذ كامل يناضل ضمن الحركة الوطنية المصرية؛ من أجل جعل شعار الجامعة الإسلامية دائرة سياسية تضامنية تجمع الشعوب الإسلامية المستعمَرة والمهددة بالاستعمار، ذلك أن مجرد النضال من منطلق قومي يستهدف تحرير مصر صورة من صور الانكفاء على الذات باسم القومية المصرية، أما الربط السياسي بين المصريين ودائرة الشعوب الإسلامية، ومن بينهم العرب، فهو قوة لمصر ولنضالها في سبيل استقلالها[٥].

لقد حاول كامل أن يوضح، لا سيما للدوائر الغربية المناوئة بطبيعتها لفكرة تكتل الشعوب الإسلامية على أساس جامع، يتجاوز الروابط القومية، بأن هذا التكتل ليس ضد الغرب، بل هو أمر طبيعي لا تعصب فيه، وإنه لا يوجد مسلم مستنير واحد يظن لحظة واحدة أنه من الممكن اجتماع الشعوب الإسلامية في عصبة واحدة ضد أوروبا، والذين يقولون بذلك إما جاهلون أو راغبون في إيجاد هاوية بين العالم الأوروبي والمسلمين، إنه لا سبيل لنهضة الشعوب الإسلامية بغير حياة إسلامية جديدة تستمد قوتها من العلم والفكر الواسع الراقي[٦].

كما حاول أكثر من مرة الرد على ما يُنشر هنا وهناك ضد الجامعة الإسلامية، وعندما نشرت صحيفة «الوقت» الفرنسية مقالاً يتحدث عن أن المقصود بالجامعة الإسلامية

كامل: الجامعة الإسلامية دائرة سياسية تجمع الشعوب الإسلامية المستعمَرة والمهددة بالاستعمار

يعني العودة إلى الحروب الدينية، أخذ كامل يدفع هذا الافتراء، مثبتاً أن المسلمين لا يؤمنون أصلاً بالحرب الدينية -كما هي حال أوروبا أيام الحروب الصليبية- وأن المسلمين أدركوا من زمان بعيد أنه يستحيل على أي أمة أن تعيش في معزل عن العالم، وأن الأمة التي تحاول ذلك تقضي على نفسها بالموت.

أما الشعور الموجود عند كافة الشعوب الإسلامية، فهو شعور انعطافها وحنانها لبعضها بعضاً، فكلّ مسلم يرغب من صميم فؤاده أن يرى أبناء دينه معامَلين أحسن معاملة، ومعتَبرين كجزء حي من الإنسانية، ومحتَرمين في كلّ مكان.

وبما أن الإسلام ليس عقيدة فقط، بل قانون اجتماعي، فإن إحياء الأفكار ونشر المعارف لا يتمَّان إلا بإظهاره على حقيقته، وأن ميل كلّ مسلم لأبناء دينه أمر طبيعي وشرعي، والأصل ألا يكون هناك رجل منصف ينتقد ذلك الميل[٧].■

الهوامش

(١) محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني المفترى عليه، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م، ص ١٦١.
(٢) المرجع السابق، ص ١٦٦.
(٣) أحمد الرحبي، الأفكار السياسية والاجتماعية عند الكواكبي، دار الأهالي، ط١، دمشق، ٢٠٠١م، ص ٤٤.
(٤) المرجع السابق، ص ٤٦ - ٤٧.
(٥) محمد عمارة، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية نموذج مصطفى كامل، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م، ص ١١.
(٦) المرجع السابق، ص ١٢٥.
(٧) المرجع السابق، ص ١٢٦.

الأسس النفسية للتأثير الدعوي (9)

معرفة أحوال الناس

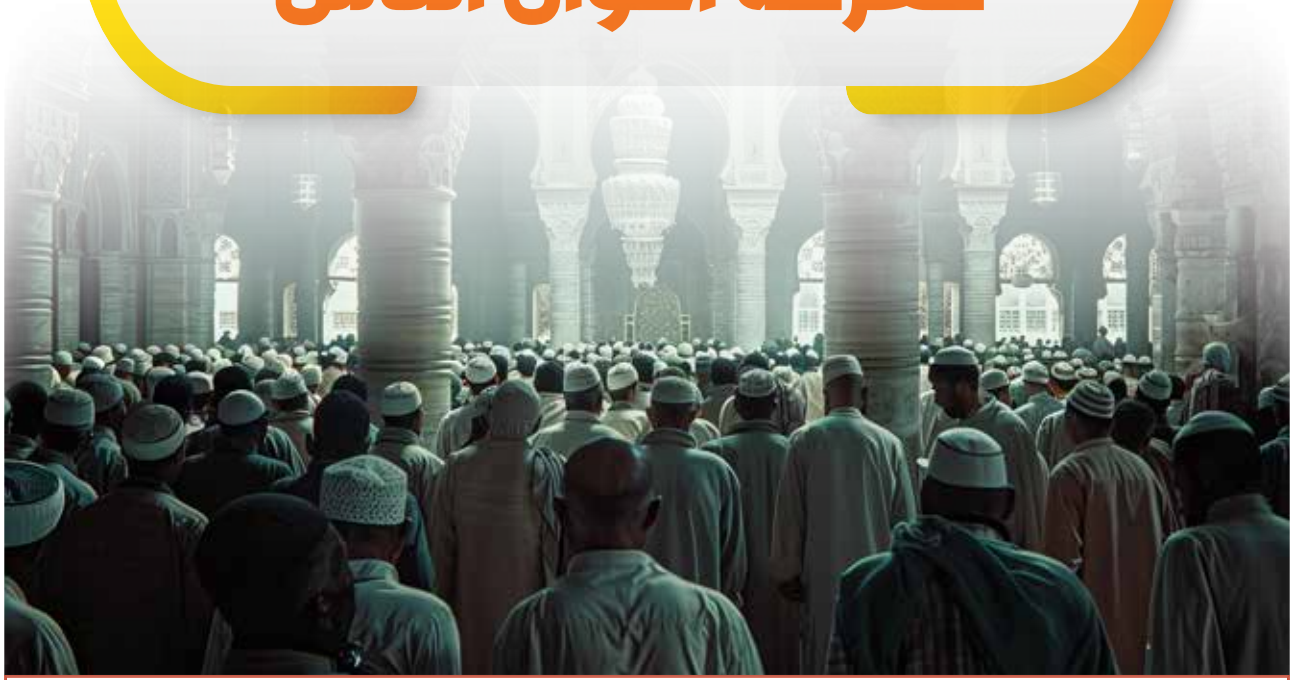

يحتاج التأثير الدعوي إلى بصيرة تسهم في إدراك الواقع وفهم الواجب تجاهه، من أجل الوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية، وإن الدعوة الإسلامية تتطلع إلى تكوين هذه البصيرة في الدعاة، حتى يدركوا ما تنطوي عليه نفوس الناس، وما يجب لهم من مهارات وأدوات تستطيع أن تقودهم إلى الصراط المستقيم.

وتأتي هذه السلسلة من المقالات الدعوية تحت عنوان «الأسس النفسية للتأثير الدعوي» من أجل الوقوف على الركائز النفسية التي يستند إليها الداعية ليحقق النجاح في مهمته السامية، ويأتي الأساس التاسع بعنوان «معرفة أحوال الناس ومراعاتها».

د. رمضان أبوعلي
أستاذ جامعي– دكتوراة في الدعوة الإسلامية

يقصد بـ«معرفة أحوال الناس ومراعاتها» ملاحظة أحوال الناس، وتقدير واقعهم، والاهتمام بشؤونهم، واختيار الأصلح لهم، حرصاً على هدايتهم.

التأصيل الشرعي:

يتعامل الداعية مع أصناف الناس المختلفة، ويحرص على تبليغ الدعوة إليهم أجمعين، لكن الناس ليسوا على حالة واحدة من الجانب النفسي أو الفكري أو الاجتماعي، فكل حالة تستدعي خطاباً مختلفاً عن غيرها، ولهذا فإن الداعية في حاجة إلى الخروج من الجمود على أسلوب واحد، إلى دراسة هذه الأحوال والتعرف على سبل التعامل معها، فإن هذا من البصيرة التي يجب أن يتحلى بها الداعية، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ (يوسف: ١٠٨).

والبصيرة هي الحكمة الدعوية التي تعني وضع كل شيء في موضعه، وهي فعلُ ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي[1]، وقد أمر الله بالحكمة، حتى تؤتي الدعوة ثمرتها، فقال: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

مراعاة حال المخاطَب تدفع المتكلم إلى اختيار أدق الألفاظ وأحسنها حتى تثير كوامن النفس

على الداعية أن يقدر الأمور حق قدرها فيرتب أولوياته ويجوّد أسلوبه ويحسّن كلماته وينوّع خطابه

ضرورة مراعاة أحوال الناس والتدرج معهم في الوسائل والأساليب حتى يهتدوا إلى الصراط المستقيم

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، فالحكمة لازمة للداعية، وهي الأساس الذي يرتكز عليه في التعامل مع الناس على اختلاف أصنافهم.

التوظيف النفسي:

إن مراعاة حال المخاطَب وتتبع خلجات نفسه من شأنها أن تدفع المتكلم إلى اختيار أدق الألفاظ وأحسن العبارات، التي تثير كوامن النفس، وتدفع المخاطَب إلى الاستجابة الفورية لما يطلبه المتحدث، حيث أكدت الدراسات النفسية أن «الاهتمام بهموم الناس ومشكلاتهم مدخلٌ طبيعي إلى نفوسهم، ووسيلة فعّالة من وسائل تفاعلهم مع المتحدث»[٢]؛ لذا وجب أن يكون المتحدث على دراية بواقع المخاطبين، وأن يكون قادراً على انتقاء كلماته التي يلقيها عليهم.

التوظيف الدعوي:

إن مراعاة أحوال الناس تجعل الداعية يقدر الأمور حق قدرها، ويضع الأشياء في نصابها، فيرتب أولوياته ويجود أسلوبه ويحسن كلماته وينوع خطابه، حيث إن ما يقال لبعض الناس قد لا يقال لغيرهم، بل إن ما يقال لبعض الناس في موقف قد لا يصح أن يقال لهم في موقف آخر، فلكل مقام مقال، وعلى المتحدث أن يراعي مقتضى الحال، ولهذا فإن الداعية في حاجة إلى معرفة أحوال الناس، حيث يجعلها مرتكزاً لكلامه ومنطلقاً لتوجيهاته.

والناظر في تعاليم الإسلام يجد أنها تؤسس لمراعاة أحوال الناس[٣]، ويظهر ذلك فيما يأتي:

أولاً: إرسال الرسل:

حيث اختار الله الرسل من بين أقوامهم، ليكونوا أعلم بحالهم، وليبينوا لهم، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم: ٤)، والمقصود بقوله: (بِلِسَانِ قَوْمِهِ): لغتهم، لكي يتيسر لهم فهم ما يريد أن يبلغهم إياه، وفي هذا مراعاة لحال الناس، وليس المقصود هنا الوقوف عند اللغة المنطوقة فقط؛ بل يضاف إليها الطريقة التي يفهمون بها، ويدل عليه ما جاء في معجزات الرسل، حيث كانت معجزة كل رسول مما اشتهر في بيئة القوم الذين أُرسل إليهم، من أجل إقامة الحجة عليهم، مما يألفون من أحوالهم، فلما كان الغالب على قوم سيدنا موسى عليه السلام هو السحر؛ أيده الله بمعجزة أدهشت قلوبهم وأبهرت أبصارهم وحيّرت عقولهم، وهي العصا، ولما كان الطب غالباً على بيئة سيدنا عيسى عليه السلام؛ أيده الله بمعجزات شفاء المرضى وإحياء الموتى، ولما كانت الفصاحة والبلاغة غالبة على البيئة العربية؛ أيد الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن التي أعجزت الناس أجمعين.

ثانياً: تنوع أساليب الدعوة:

حيث قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وقد جاء هذا التنوع في الأساليب تبعاً لتنوع أصناف الناس وأحوالهم، ولهذا كان سيدنا نوح عليه السلام يدعو قومه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً، وكذلك «كان رسول الله يُلَوِّن الحديث لأصحابه، فكان تارة سائلاً، وتارة مجيباً، وتارة يجيب السائل بقدر سؤاله، وتارة يزيده عما سأل، وتارة يضرب المثل لما يريد تعليمه، وتارة يصحب كلامه بالقسم، وتارة يلفت السائل عن سؤاله لحكمة بالغة، وتارة يُعَلِّم بطريق الكتابة، وتارة بطريق الرسم، وتارة يسلك

سبيل الدعابة، وتارة يخص النساء ببعض مجالسه، وتارة يراعي أحوال من بحضرته من الأطفال والصغار، فيتنزل إليهم ويعلمهم بما يناسب طفولتهم»[٤].

ثالثاً: التدرج في الدعوة:

فالقرآن الكريم لم ينزل على الرسول دفعة واحدة، وأحكام الحلال والحرام لم تستقر دفعة واحدة، وإنما جاءت متدرجة على مراحل متعددة، من أجل مراعاة أحوال الناس، ولهذا يجب على الدعاة أن يراعوا أحوال الناس، فيتدرجوا معهم في الوسائل والأساليب حتى يهتدوا إلى الصراط المستقيم، ويدل على هذا ما ثبت عن سيدنا عمر بن عبدالعزيز حين تولى الخلافة، وقد جاءه ولده يقول له: أنْفِذ الحقَّ فما أبالي لو غلت بي وبك القُدور في سبيل الله، فقال عمر: يا بني، لا تَعجَل، فإن الله ذَمَّ الخمر في القرآن مَرَّتَين ثم حرَّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحقِّ جُملة فيتركوه جملة، وتكون فتنة[٥].

رابعاً: تعدد أبواب الخير:

فقد شرع الإسلام أبواباً متعددة لكسب الحسنات، بحيث يستطيع من لم يقدر على بعض الأعمال أن يجد الثواب في غيرها، ويدل على هذا ما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يعملُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ»، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ»، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ»، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يمسك عن الشر، فإنها صدقة»[٦]، ففي تنوع الأعمال التي يتم من خلالها تحصيل الأجر والثواب ما يؤكد مراعاة أحوال الناس.

خامساً: تنوع الوصايا الدعوية:

حيث كان الصحابة يطلبون الوصية من النبي صلى الله عليه وسلم، فيوصي أحدهم بقوله: «لا تغضب»، ويوصي الآخر بقوله: «أوصيك بتقوى الله»، ويوصي الثالث بقوله: «اتق الله حيثما كنت»، ويوصي الرابع بقوله: «اعبد الله كأنك تراه»، ويوصي الخامس بقوله: «أوصيك ألا تكونَ لعاناً».. إلى غير ذلك من الوصايا التي يدل تنوعها على مراعاة أحوال الناس ووصف الدواء المعالج لدائهم.

وهكذا يتبين أن مراعاة أحوال الناس ضرورة دعوية، حيث تسهم في الوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية المرجوة، فعلى الداعية أن يراعي أحوال المدعوين النفسية والاجتماعية، من خلال التعرف على الحاجات، والوقوف على المشكلات، وترتيب الأولويات، وحسن اختيار الأوقات والكلمات.

الدليل على التأثير الناجح:

لقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في مراعاة أحوال الناس وإنزالهم منازلهم ومخاطبتهم على قدر عقولهم، مما أدى إلى التأثير فيهم وحملهم على ترك مواقعهم والتخلي عن مواقفهم البعيدة عن الإسلام، بل إنهم أعلنوا أن تحولهم واستجابتهم إنما كانت بسبب مراعاة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم.

فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن فتح مكة، خرج بعدها إلى حُنَين وانتصر فيها، وغنم غنائم كثيرة، وكان قد حمل معه إلى حُنَين بعض زعماء مكة الذين أسلموا في الفتح، ومنهم صفوان بن أمية (وكان يحب المال)، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مائَةً مِنَ النَّعَم، ثُمَّ مائَةً، ثُمَّ مائَةً، حتى قال صفوان: وَاللَّه، لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّه مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاس إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاس إِلَيَّ[٧]، ففي هذا دليل على التأثير الناجح لمراعاة حال المدعو، وتأكيد على ضرورته في العمل الدعوي.

فعلى الداعية أن يلاحظ أحوال الناس، ويهتم بشؤونهم، ويتعرف على احتياجاتهم، ثم يراعي ذلك في توجيههم، من أجل المحافظة عليهم وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.■

المصادر

(١) مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية، (٣/ ٢٩٤).
(٢) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ٣١٧.
(٣) مراعاة أحوال المخاطبين: د. فضل إلهي، ص: ٨ وما بعدها.
(٤) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم: عبدالفتاح أبو غدة، ص: ٦٣-٦٤.
(٥) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ابن الجوزي، (١٠/ ٢٢٩).
(٦) صحيح مسلم، (٢/ ٦٩٩ رقم ١٠٠٨).
(٧) صحيح مسلم، (٤/ ١٨٠٦ رقم ٢٣١٣).

محطات إيمانية في طريق التربية..

تعجّل.. ولا تؤجل حجّك!

إيمان مغازي الشرقاوي
ماجستير الدعوة بجامعة المدينة العالمية

في غرفة فخمة الأثاث والرياش، تفوح منها رائحة العطور الزكية، ويظهر فيها أثر الترفه والترف، كان راقداً على سريره الكبير وفراشه الوثير، يشاهد التلفاز ويسمع تلبية الحجيج التي تهز كيانه، وتحرك قلبه وتملؤه لهفة واشتياقاً لأن يقف موقفهم هذا ويكون معهم.

أراد أن يقوم لكنه لا يقوى على القيام ولا تطاوعه قدماه، تذكر أيام شبابه وصباه حين كان لا يقعد إلا قليلاً، ولا يهدأ حتى ينتهي من جميع أعماله وكله نشاط وهمة وحيوية؛ حتى صار ذا مال ويسار، يملك من الأرض والعقار، والمسكن والمال ما يغنيه وأولاده عن الحاجة والسؤال، تذكر كل ذلك وهو جالس على سريره هذا يصاحبه ضعف المرض وتغلبه هزة الشيخوخة، تمنى أن يرجع للوراء حيث القوة والصحة والشباب، لكن هيهات هيهات أن يرجع ما مضى وفات، تمنى من أعماق قلبه أن يعيش بنفسه هذا الموقف العظيم مع حجاج بيت الله ملبياً، لكنه لا يستطيع إجابة النفس لما ترجوه الآن وتتمناه.

اعتدل في جلسته وهو يتململ ضجراً من نفسه! همس في أذنها مخاطباً إياها: سامحيني يا نفس؛ لقد حرمتك من لهفة الشوق، وشرف القرب ولذة اللقاء، ونعيم النظر إلى الكعبة المشرفة، والطواف حولها والقرب منها والتعلق بأستارها، لقد أقعدتُك عن السعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة حيث تُسمع وتُجاب الدعوات، وتُسكب الدموع والعبرات، فأرجع بك بلا ذنوب كيوم ولدتني أمي.

خاطبته نفسه معاتبة: وما الذي منعك من ذلك كله أيها الشيخ الكبير؟! ألم يؤتِك الله المال؟ ألم يُمنّ عليك بالصحة والعافية؟ ألم يهبك من الوقت ما تفرغ نفسك فيه لأداء الفريضة؟ ألم ييسر لك وسائل السفر المريحة ويجعل طريق سفرك آمنة؟ ألم يمدّ في عمرك ويهبك الشباب والقوة لتحج إلى بيته وتفد عليه ضيفاً مكرماً؟ فلماذا كان التسويف والتأجيل، والتأخير والتقصير، وقد توفرت لديك شروط الاستطاعة منذ وقت طويل لكنك لم تفعل، وها أنت الآن تتمنى أن تحج بنفسك فلا تستطيع!

أجابها وقد أيقن تقصيره: صدقت يا نفس، فلقد أقعدني طول الأمل، وشغلتني

بعض الناس ينشغلون عن فريضة الحج فيمر العمر بهم سريعاً ولا يفيقون إلا بعد فوات الأوان

ضرورة الأخذ بأسباب الاستطاعة والمسارعة للحج قبل الشيب أو الضعف أو المرض أو فناء المال أو الموت

من رحمة الله تعالى أنه فرض علينا الحج مرة واحدة في العمر وهذا من يُسر الإسلام وسماحته

دنياي عن تعجل الحج وأداء الفريضة، فيا ليتني تعجلت وحججت!

لا تؤجّل حجك

إن هذه هي حال بعض الناس مع فريضة الحج العظيمة، التي هي ركن من أركان الإسلام، حيث ينشغلون عنه في أمور دنياهم انشغالاً كبيراً يصرفهم عن المسارعة في الذهاب للحج، بينما هم يستطيعون ذلك، لكنهم يؤجلون عاماً بعد عام، فيمر العمر بهم سريعاً ولا يفيقون إلا بعد فوات الأوان، فقد يحبسهم المرض، أو يحضرهم الأجل ويفاجئهم الموت في أي وقت قبل أن يحجوا.

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فقال: « تَعَجَّلُوا إلى الحَجِّ ، فإنَّ أحَدَكُمْ لا يَدرِي ما يَعرِضُ لَهُ » (رواه أحمد)، وقال: « من أراد الحجَّ فليتعجَّلْ فإنَّهُ قد يمرضُ المريضُ وتضلُّ الضالَّةُ وتعرِضُ الحاجَةُ » (ابن ماجه، وأحمد).

ولماذا لا يتعجل المسلم حجه وقد أمر الله تعالى به في كتابه فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧)، قال ابن كثير: «هذه آية وجوب الحج عند الجمهور»، وقال القرطبي: اللام في قوله «ولله» لام الإيجاب والإلزام، ثم أكده بقوله تعالى: «على» التي هي من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، فذكر الله تعالى الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب تأكيداً لحقه وتعظيماً لحرمته.

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الحج ركن من أركان الإسلام فقال: « بُنِيَ الإِسْلَامُ علَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وإقَامِ الصَّلَاةِ، وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضَانَ » (رواه البخاري).

فينبغي للجميع أن يأخذ بأسباب الاستطاعة ويسارع إلى الحج، فيحج الشاب قبل أن يشيب، والقوي قبل أن يضعف، والصحيح قبل أن يمرض، والغني قبل ذهاب ماله، والحي قبل أن يموت، ولسان حالهم جميعاً: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه: ٨٤).

حجة العمر المباركة

إن من رحمة الله تعالى أنه فرض علينا الحج مرة واحدة في العمر، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو قلت: نعم لوجبت، ولَما استطعتم» (رواه مسلم)، وهذا من يُسر الإسلام وسماحته، فلو فرضه كل عام لشق ذلك علينا.

وفي هذه الحجة المباركة يصيب الحاج من نفحات الله تعالى ما لا يصيبه في غيرها، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فضائل وثمرات الحج، ترغيباً للمسلم وحثاً له على المسارعة والتعجل متى تحققت الاستطاعة، ومن ذلك قوله: «من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه» (رواه البخاري)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (رواه البخاري)، وقوله: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجَّة المبرورة ثواب إلا الجنة، وما من مؤمن يظل يومه محرماً إلا غابت الشمس بذنوبه» (صحيح الترغيب).

ألا ترغب أيها المسلم في الحصول على هذه الجوائز العظيمة حين تتعجل حجك، وإنها خير لك من كنوز الدنيا جميعاً، هيا سارع بإعداد زادك لهذه الرحلة المباركة وانضم إلى قوافل الحجيج وجموع الملبين؛ لتكون ضيفاً من ضيوف الرحمن عز وجل ملبياً نداء ربك بلسان حالك وفعالك؛ «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».■

تأملات في رحلة الولادة من جديد

د. أحمد عيسى
دكتوراة في العقيدة وأصول الدين

يتمنى كل إنسان أن لو وُلد من جديد نقياً طاهراً رُفعت عن كاهله جميع أوزاره وأكداره، فما الرحلة التي أنعم الله تعالى على أمتنا بها وتتحقق فيها تلكم الولادة المباركة؟ وماذا تنعقد فيها من شعائر تعظَّم، ونُسك تبجَّل، وأركان توقَّر، وأخلاق تتمَّم، لتحصل الولادة؟

إنها زيارة البيت العتيق الذي شرّفه الله تعالى بإضافته إلى نفسه، وجعله مقصداً لعباده، وما حواليه؛ حرماً له وتفخيماً لأمره، يقصده الحجيج من كل فج عميق، متواضعين لرب البيت خاضعين لجلاله، ووظّف عليهم أعمالاً قد لا تهتدي إلى معانيها العقول، ويمثل الامتثال لهذه الأعمال كمال الرق والعبودية، عن ابن سيرينَ أنه حجَّ مع أنس بن مالك، قال: وكان يقول في تلبيته: «لبَّيكَ حجاً حقاً، تعبُّداً ورِقاً» (رواه البزار، رواته ثقات)، وتتوج الرحلة بالجائزة العظيمة بالولادة من جديد، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن حَجَّ هذا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، ولَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كما ولَدَتْهُ أُمُّهُ» (رواه البخاري).

هذه دعوة للتدبر في هذه الرحلة، والتأمل في معاني خطواتها وأركانها، مسترشداً (بتصرف كبير) بكتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي.

الشوق:

من قصد بيت الله الحرام ونظر إليه في الدنيا جدير بأن يُرزق النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار في الجنة؛ «والحَجُّ المَبْرُورُ ليسَ له جَزَاءٌ إلَّا الجَنَّةُ» (البخاري).

فالعين القاصرة في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول النظر إلى وجه الله الكريم، ولكنها تتمكن في الآخرة؛ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة)، فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء، هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل الذي إلى محبوبه إضافة، والبيت مضاف إلى الله تعالى، فجدير أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة، فضلاً عن نيل الثواب.

العزم وقطع العلائق:

ليعلم الحاج أنه بعزمه ونيته صار قاصداً مفارقة الأهل والوطن، ومهاجراً الشهوات واللذات، متوجهاً إلى زيارة بيت الله، فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت، وليجعل عزمه خالصاً لوجه الله بعيداً عن شوائب الرياء والسمعة، وليتحقق أنه لا يُقبل من قصده وعمله إلا الخالص، فكيف يقصد بيت الله وحرمه، والمقصود غيره؟!

وقطع العلائق معناه رد المظالم والتوبة الخالصة عن المعاصي، فكل مظلمة هي كغريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه إلى أين تتوجه؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره، ألا تستحيي أن تُقْدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك؟ فإن كنت راغباً في قبول زيارتك فاقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك، لتكون متوجهاً إليه بوجه قلبك، كتوجهك إلى بيته بوجه ظاهرك.

الزاد والمركب:

إذا أحس الحاج الحرص على استكثار الزاد ليبقى منه على طول السفر ولا يفسد قبل بلوغ المقصد، فليتذكر أن سفر الآخرة أطول وزاده التقوى، وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت، فلا يبقى معه، كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر، فيبقى وقت الحاجة متحيراً محتاجاً، فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت لفسادها بشوائب الرياء وأكدار التقصير.

فالسفر في الدنيا لا بد له من زاد، وهو الطعام والمركب والمال، والسفر من الدنيا لا بد فيه أيضاً من زاد، وهو معرفة الله وتقواه ومحبته.

وليتذكر المركب الذي يركبه إلى دار الآخرة؛ وهي الجنازة التي يُحمل عليها، فإن أمر الحج من وجه يشبه أمر السفر إلى الآخرة، فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه، ويهمل أمر السفر المستيقن؟

الإحرام والتلبية من الميقات:

حين يرتدي الحاج ويتزر بثوبي الإحرام عند الميقات، يتذكر أنه سيلقى الله ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة، فكما لا يلقى بيت الله إلا مخالفاً عاداته في الزي والهيئة،

فلا يلقى الله بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا. وفي التلبية إجابة نداء الله، فاخش أن يقال لك: لا لبيك ولا سعديك، فكن بين الرجاء والخوف متردداً، وعلى فضل الله سبحانه وكرمه متكلاً، فإن وقت التلبية هو بداية الجدّ.

وليتذكر عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ (الحج: ٢٧)، ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله ومنقسمين إلى مقبولين ومردودين؛ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء ٥٢) للبعث والنشور تنقادون لأمره.

دخول مكة ووقوع البصر على البيت:

إذا انتهى الحاج إلى حرم الله آمناً، فليرجُ أن يأمن بدخوله من عقاب الله، وليخشَ ألا يكون أهلاً للقرب، وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً، فالكرم عميم والرب رحيم، وشرف البيت عظيم، وحق الزائر مرعيٌّ، وذمام المستجير اللائذ غير مضيع، ويحضر عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه، واذكر انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة، ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين.

الطواف والتعلق بأستار الكعبة:

الطواف صلاة، فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة والذكر، ومتشبهاً بالملائكة المقربين الحافّين حول العرش، والطائفين بالبيت المعمور في السماء بإزاء الكعبة.

ولتكن نيتك في الالتصاق بالملتزم بين الحجر الأسود وباب الكعبة، طلب القرب حباً وشوقاً للبيت ولرب البيت، والإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان، كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه، المتضرع إليه في عفوه عنه، المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلا إليه، ولا مفزع له إلا كرمه.

السعي بين الصفا والمروة:

يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جيئة وذهاباً مرة بعد أخرى إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة، كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك فيه، فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى.

الوقوف بعرفة:

حين ترى ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات باختلاف اللغات، فاذكر عرصات القيامة حين يموج الناس، وتأتي كل أمة نبيها وتطمع في شفاعته، واذكر حيرتهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول.

ولا ينفك الموقف بعرفة عن وجود الصالحين، فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت أيديهم طلباً للرحمة، فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم، أخرج مسلم، والمنذري، حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما مِن يَوم أَكْثَرَ مِن أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فيه عَبْداً مِنَ النَّارِ، مِن يَومِ عَرَفَةَ، وإنَّه لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ المَلَائِكَةَ، فيَقولُ: ما أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟ اشهَدوا ملائكتي أني قد غفرتُ لهم».

ولأن «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ» (صححه الألباني)، وقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم كل عشية عرفة في حال من التضرع واللهج بالدعاء، فهذه فرصة للإلحاح، ولا تنس الدعاء للأمة ولغزة.

من قصد البيت الحرام ونظر إليه في الدنيا جدير بأن يُرزق النظر إلى وجه الله الكريم بالجنة

حين يرتدي الحاج ويتزر بثوبي الإحرام عند الميقات يتذكر أنه سيلقى الله ملفوفاً في الكفن

حين ترى ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات فاذكر عرصات يوم القيامة حين يموج الناس

رمي الجمار:

القصد منه الانقياد للأمر، إظهاراً للرق والعبودية، واقتداءً بالخليل وبرسول الله عليهما الصلاة والسلام، وإغاظة للشيطان الذي لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله، قال ابن عباس: «الشيطان تَرْجمونَ، ومِلَّةَ أبيكم تَتَّبِعونَ» (صحيح الترغيب).

ذبح الهدي:

هو تقرب إلى الله تعالى وإذعان، وارجُ أن يُغفر لك عند أول قطرة تقطر من دم الهدي كل ذنب عملته، أخرج الترمذي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما عمِلَ آدميٌّ من عمَلٍ يومَ النَّحرِ أحبَّ إلى اللهِ من إهراقِ الدَّمِ؛ إنَّها لتَأْتي يومَ القيامةِ بقُرونِها وأشعارِها وأظْلافِها، وإنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ من اللهِ بمكانٍ قبلَ أنْ يقَعَ من الأرضِ، فَطيبوا بها نفساً».

علامة الولادة:

هي الصفحة الجديدة الناصعة البياض كبراءة المولود تُملأ بالطاعات وصحبة الصالحين، والاتزان بميزان الشرع، والانشراح بالأنس بالله والشوق إلى لقائه، فتظهر على الحُجاج آثار محبة الله وقبوله، فهنيئاً لهم.■

المدرِّب المتألِّق (5)
سمات إضافية.. التفكير والتواصل والتجديد

د. موسى المزيدي
مدرب معتمد في المهارات الإدارية والقيادية

في المقال السابق، طرحنا السمة المساندة الثانية للمدرِّب المتألِّق؛ وهي التنافس والتحدي بين المتدربين، وهنا نكمل توضيح هذه السمة المهمة، ونتبعها بثلاث سمات مساندة أخرى.

إن من طرق التنافس والتحدي بين المتدربين طرح الألغاز الإدارية، ومن هذه الألغاز التي طرحناها في دورة «أسرار القيادة الفعالة للقطاع النفطي» لغز الحلزون، وهو كالتالي:

يُحكى أن حلزوناً بدأ صعود سلم مكون من ٢٠ درجة، يصعد هذا الحلزون خلال النهار ٥ درجات، وينزل خلال الليل ٤ درجات، والسؤال هو: كم يوماً يلزم الحلزون كي يصل إلى أعلى السلم؟

معظم المتدربين يظن أن الإجابة المنطقية ٢٠ يوماً، ولكن الإجابة الصحيحة هي أن الحلزون يصل إلى أعلى السلم في نهار اليوم الـ١٦؛ حيث يصعد ٥ درجات خلال النهار فيصل إلى أعلى السلم!

ولكن الهدف الخفي من هذا اللغز تشجيع المتدربين على عدم النزول من أعلى القمة إذا وصلوا إليها، والمدرب المتألق هو الذي يتحدى المتدربين في حل لغز أو حل مشكلة، ويجعلهم يتنافسون في حلها.

وإليكم هذه القصة: وقَّع مدير إدارة العقود في مؤسسة عقداً لبناء محطة كهربائية، وكان الأمر يتطلب تحويل مبلغ مليون دينار للشركة المنفذة للمشروع، فاتصلت الشركة بمدير المؤسسة تطلب منه تحويل المبلغ لها فوراً.

بدوره، اتصل المدير بالمحاسب، وطلب منه تحرير شيك بالمبلغ فوراً، فقام المحاسب بتحرير الشيك، وتم إرساله للشركة فوراً، ولكنْ تأخر وصول الشيك للشركة، فقامت الشركة واتصلت مرة ثانية بمدير الشركة تطلب منه تحويل المبلغ فوراً.

هنا اتصل المدير بالمحاسب وطلب منه تحرير شيك بالمبلغ فوراً؛ فقام المحاسب -في غفلة من الأمر وبسبب ازدحام العمل- بتحرير شيك ثانٍ، وتم إرساله للشركة فوراً.. وصل الشيكان معاً للشركة، فقامت الشركة بإرجاع الشيك الثاني للمؤسسة.

هذه مشكلة كبيرة؛ حيث وقَع المحاسب فيها بخطأ جسيم ثمنه مليون دينار! والسؤال هنا: لو كنت مكان مدير المؤسسة، كيف تحتوي هذه المشكلة، علماً أن المحاسب لم يرتكب خطأ سابقاً، وقد مضى على عمله في تلك المؤسسة ١٢ عاماً، وكان غاية في التفاني والإخلاص لخدمة المؤسسة؟

فلو كنت مدرباً متألقاً فإنك ستطلب من المتدربين طرح الحلول في جلسة عصف ذهني، ثم تطلب منهم التصويت لاختيار أفضل الحلول.

إذاً، المدرب المتألق هو الذي يتحدى المتدربين بطرح مشكلات واقعية، ويطلب منهم طرح حلول واقعية لها، في جلسة عصف ذهني.

٣- الهدوء والتفكير:

من طبيعة المتدربين أنهم يحبون المدرب الذي يطلب منهم المشورة، والحوار، والتصويت، لاختيار أفضل فكرة تمت مناقشتها، في المقابل لا يحبون من ينفعل سلباً، وينتقد الأفكار المطروحة.

ولتوضيح ذلك نرجع إلى قصة المدير والمحاسب التي طرحت أعلاه، ففيها من الحوار والنقاش الكثير، والعديد من الآراء المتنوعة، ونستنتج منها أن المدرب المتألق هو الذي يدير هذا النقاش؛ حيث يقوم بتشكيل عدة فرق، ويطلب من كل فريق تعيين قائد يضبط الحوار، ويكتب الآراء التي يسمعها، ويجمعها في رأي واحد يعبر عن رأي الفريق، إذاً؛ عليه (المدرب) أن يفتح النقاش لطرح الآراء المتنوعة، ويوجه الأسئلة التالية للمتدربين:

- من منكم يرى أن احتواء هذه المشكلة أولى من تصعيدها؟ ولماذا؟
- من منكم يرى ضرورة معاقبة المحاسب ولو بلفت نظر؟
- هل تعتقدون أن لفت النظر ينبغي أن يكون مكتوباً أم مشافهة؟
- ما أول خطوة ينبغي للمدير أن يتخذها تجاه المحاسب؟
- هل جمع المعلومات والحقائق من الضرورات قبل استدعاء المحاسب؟
- هل يقوم المدير باستضافة المحاسب عند قدومه إليه؟
- هل يبدأ المدير بالثناء على أعمال المحاسب السابقة قبل محاسبته؟
- هل يوجه المدير النصيحة والانتقاد للمحاسب؛ لمعرفة ما حدث على وجه الخصوص؟
- هل المدير شريك للمحاسب في الخطأ الذي حدث؟
- هل يقوم المدير بوضع نظام جديد لضمان عدم تكرار الخطأ مرة أخرى؟
- هل يقوم المدير بمتابعة تطبيق النظام الجديد؟

على المدرب طرح الأسئلة لتشجيع النقاش والحوار وسماع مزيد من الآراء

.. والحرص على التواصل مع المتدربين وإقامة علاقات أثناء الدورة وبعدها

.. وابتكار وتجديد مكان انعقاد الدورة وجلب ضيوف من الخارج لهم

- هل يعين المدير موظفاً يساعد المحاسب في عمله؟

هذه مجموعة من الأسئلة المغلقة والمفتوحة، يطرحها المدرب المتألق للوصول إلى حل يرضي الجميع، دون أن يفرض رأيه على المتدربين.

نؤكد هنا أن المدرب المتألق هو الذي يستعمل الأسئلة المغلقة (هل، أين، متى، من، كم) لضبط النقاش وضبط وقت الحوار، وقد يستعمل الأسئلة المفتوحة (ماذا، لماذا، كيف، أخبرني) لتشجيع النقاش والحوار وسماع مزيد من الآراء، وينهج هذا النهج مع المتدربين لطرد الملل، وتشجيع النقاش، وإفشاء الحيوية، والنشاط، والطاقة، والحماسة بين المتدربين.

٤- التواصل وإقامة العلاقات:

من طبيعة المتدربين أنهم يحبون المدرب الذي يتواصل ويقيم علاقة معهم؛ قبل انعقاد الدورة، وأثناء انعقادها، وبعد انتهائها.

ولإثبات ذلك نذكر هذه القصة: في دورة «المدير المحصن للشركة السعودية للكهرباء في جدة»، طلبت من المتدربين في نهاية الدورة كتابة أرقام هواتفهم في ورقة، ثم أرسلت رسالة نصية لكل متدرب على حدة بعد الدورة، ذكرت فيها اسمه وشكرته على تفاعله في أثناء الدورة، وطلبت منه إبداء رأيه فيها، واقتراح ما يحسن الأداء فيها.. واكتشفت أن نسبة من تجاوب مع رسالتي ٤٤% (٧ متدربين من أصل ١٦).

وفي دورة «أسرار القيادة الفعالة لموظفي وزارة الأوقاف في الكويت»، قمت بإرسال رسالة نصية لكل متدرب على حدة، ذكرت فيها اسمه، ورحبت به، وطلبت منه أن يرسل لي كلمة إيجابية تبدأ بأول حرف من اسمه.. فكانت نسبة من تجاوب مع رسالتي ٨٩٪ (٢٤ متدرباً من أصل ٢٧).

وعليه؛ فإن المدرب المتألق يحرص على التواصل مع المتدربين، وإقامة علاقات معهم؛ قبل انعقاد الدورة وأثناءها وبعدها كذلك، وتوصلت إلى أن أقل ما يتوقعه المتدرب -من المدرب- في أي دورة ثلاثة أمور، جمعتها في كلمة «تام»: «ت = ترحيب به، ا = ابتسامة في وجهه، م = مناداة باسمه».

ويجعل تواصله مع المتدربين محدداً؛ فيطلب منهم أمراً واحداً ولا يُكثر، كأن يطلب مقترحاً واحداً، أو كلمة واحدة، أو حلاً لتمرين واحد؛ لكي يتجاوبوا معه.

مثال على ذلك: اجعل آخر نصف ساعة في نهاية كل دورة حواراً حول خطة العمل الشخصي، تقول فيها للمتدربين: «اذكر أمراً واحداً تعلمته في هذه الدورة، وتريد تطبيقه في حياتك الشخصية أو العملية».

٥- التجديد والابتكار:

من طبيعة المتدربين أنهم يح بون المدرب الذي يجدد لهم مكان انعقاد الدورة، ويجلب لهم ضيوفاً من الخارج، وأذكر أمثلة على هذا الأمر

- في دورة «التفكير الإبداعي لشركة المشروعات السياحية»، عقدنا أحد أيام الدورة على ظهر سفينة -وسط البحر- من سفن شركة المشروعات السياحية! كان ذلك اليوم من أفضل أيام الدورة، ففيه تجديد بمكان انعقادها.

- في دورة تدريبية لمعهد الأبحاث التي عقدت في فندق «راديسون بلو»، اتخذنا قراراً بعقد الدورة على ظهر سفينة «الهاشمي»، وهي أكبر سفينة خشبية شراعية في العالم، تم بناؤها في هذا الفندق!

- في دورة تدريبية للحرس الوطني الكويتي، كانت لنا زيارة ميدانية -في أحد أيام الدورة- لشركة صناعة الكيماويات البترولية الكويتية، وكانت زيارة تخطت توقعات المتدربين!■

دروس ملهمة للأسرة المسلمة (5)

الهمم.. بين العزائم والهزائم

بعض الأسر تحرص على تفوق أبنائها دراسياً وتخفق في إحياء همتهم دينياً وتربوياً

د. محمد البربري
داعية إسلامي

الإنسان الفرد هو أساس المجتمع وعماده الأول، ومحور هذا الكون، وأهم لبنة في صرحه الشامخ، وبنيانه السامق، فهو مدني واجتماعي بطبعه، يبدأ حياته بمركب مزدوج؛ أبيه وأمه؛ لذا فالأسرة هي المحضن الأول.

وهو كذلك ابن بيئته وأسرته؛ فهي تؤثر في تكوين سلوكه وأفكاره وقيمه وعاداته ودينه وثقافته ولغته، وهي الأرض الخصبة التي يمكن أن نزرع فيها كل معاني الحب والرحمة والفضيلة في نفوس الناشئة.

الهمة عمل القلب، وعنوان السبق، وبوابة المجد، والعاقل يدرك أنه قلب نابض لهذه الأمة؛ فلا يستصغر نفسه، ولا يُهن همته، وليكن كالطير الطماح يطير في جوف السماء ويخرقه بجناحيه فيحلق به لأعلى الآفاق، ومن مآثر أقوالهم: رجل ذو همة يُحيي الله به أمة، ورجل ذو همة يزن أمة وتتزن به الأمة، ويقول ابن القيم: «كمال الإنسان بهمة ترقيه، وعلم يبصره ويهديه، فمراتب السعادة والفلاح تتحقق للعبد من هاتين الجهتين»[1]، وله درة نفيسة في «بدائع الفوائد» يقول فيها: «العلم والعمل توأمان أمهما علو الهمة»[2].

هناك بعض الأسر تحرص على تفوق أبنائها دراسياً، ولكنها تخفق في إحياء همتهم وتقوية إرادتهم دينياً وتربوياً، فكم من همة علت ثم سفلت، وعزيمة أبرمت ثم نقضت! والنفس بين قوة العزيمة ومرارة الهزيمة تحتاج إلى قبس من تاريخنا المجيد وماضينا التليد.

صحيفة النسب الطيب:

التاريخ وعاء الزمن ومستودع الأحداث والعبر، لأنه كتب ومضى به القلم وصارت به الرواحل، وتاريخنا الإسلامي حافل بالنماذج المضيئة التي تربت في أحضان الفضيلة؛ فآتت أُكُلها ضعفين، من هذه النماذج الطيبة عروة بن الزبير، وأخوه عبدالله، رضي الله عنهما، فماذا عن صحيفة النسب الطيب؟

أولاً: أبوه الزبير بن العوام، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبدالمطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سلَّ سيفه في سبيل الله أبو عبدالله، أسلم وهو حدث له ست عشرة سنه، روى أحاديث يسيرة، حدث عنه بنوه عبدالله، ومصعب، وعروة، وآخرون[3].

أصحاب الهمة يجعلون من النقمة نعمة ومن المحنة منحة ويستقبلون النوازل بصبر

ثانياً: أمه أسماء بنت أبي بكر القرشية خاتمة المهاجرين والمهاجرات، وآخر المهاجرات وفاة، روت عدة أحاديث، وعمرت دهراً، وتُعرف بـ«ذات النطاقين»، وكانت أسنّ من عائشة ببضع عشرة سنة، هاجرت حاملاً بعبدالله، وقيل: لم تسقط لها سن، ومسندها به ثمانية وخمسون حديثاً(٤).

ثالثاً: جَدُّه صِدِّيق الأمة، صاحب الغار، سيد من سادات الليل الساجي.

رابعاً: خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عنوان العفة والنقاء، ورمز الفضيلة والوفاء، لازمها عروة وتفقه منها، في رحاب هذا الجو الطهور وهذه البيئة الصالحة نشأ عروة وإخوانه أولاد الزبير بن العوام، ولله ما أروع هذه البيئة! وما أجمل هذا الاختيار! وهذه الأسرة على أساس الإسلام أقامت البناء، وبشجرة الدين والأخلاق ارتوى الأبناء، وإذا كانت الشجرة طيبة، فإن جذورها ثابتة، وأغصانها في السماء، ثم إذا كان هذا هو المحيط الخارجي والداخلي طهراً وعفافاً ونبلاً وسخاء؛ فما الثمر المرتقب؟ إنه رموز من علو الهمة والنقاء وعناوين للتضحية والفداء.

همة ترمي إلى جنة الخلد:

من بين ما تعيه الذاكرة من كتاب الحياة وما أصدقه، أنه لا بد للإنسان أن يتقلب بين عدة أحوال؛ الشباب والشيخوخة والصحة والمرض والحزن والفرح والحياة والموت، هذا لسان الواقع المشاهد غالباً، لكن للصالحين فلسفة خاصة في استقبال النوازل؛ فهم يزرعون في الحياة بإيمان وثيق، وإخلاص عميق، وتبقى حصيلة الثمر رهينة في يد القدر، وأصحاب الهمة العالية يجعلون من النقمة نعمة، ومن المحنة منحة، وعندما تدلهم الخطوب، وتتوالى الكروب؛ فإنهم يستقبلون النوازل بصبر يضاهي الجبال الشم؛ لأنهم يعلمون أن الصبر ضياء، ويجعلون منه عنواناً للسعادة ومفتاحاً لجنة الخلد.

عن الزهري قال: وقعت الأكلة في رجل عروة فصعدت في ساقه، فقال الأطباء: ليس له دواء إلا القطع، فقالوا: نسقيك شراباً يزول فيه عقلك؟ فقال: ما كنت أظن أن خلقاً يشرب ما يزيل عقله حتى لا يعرف ربه، فوضع المنشار على ركبته اليسرى فما سمعنا له حساً، فلما قطعت رجله جعل يقول: لأن أخذت لقد أبقيت، ولأن ابتليت لقد عافيت، وما ترك جزءه بالقرآن تلك الليلة، وفي نفس اليوم أصيب في ابنه محمد الذي سقط من أعلى سطح في إصطبل الوليد فضربته الدواب بقوائمها فقتلته، فقال في مصابه في ولده: اللهم أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء.

وعن عبدالله بن عروة قال: نظر أبي إلى رجله في الطست فقال: الله يعلم أني ما مشيت بك إلى معصية قط(٥).

وفي هذا الموقف العظيم عدة دروس دعوية وتربوية ينبغي توظيفها في الواقع ليتعلم منها الآباء والمربون:

١- الصبر على البلية، وهو من أعظم عطايا رب البرية، ذلك أن عنوان السعادة في ثلاثة أمور: الشكر على العطية، والصبر على البلية، والاستغفار من الخطية، وهذه الثلاثة جمعت الدين كله، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥)، لقد اعتبر المرض ضيف الله نزل به فهشّ له وبشّ وفرح واستبشر، وحقاً فكم في أرحام البلايا من منح وعطايا!

٢- الحفاظ على العقل؛ لأنه أساس البناء الإنساني، وبه يتفاضل الناس، وهنا لفتة كريمة لمن يدمرون خلايا هذا العقل بتعاطي الخمور والمخدرات، لقد رفض عروة أن يشرب ما يُذهب عقله، وإن كان هذا جائزاً

ضرورة الحفاظ على العقل سليماً لأنه أساس البناء الإنساني وبه يتفاضل الناس

للتداوي، ولو فعل لكان له مندوحة، لكنه ما فعل!

٣- توظيف الأعضاء كاملة في طاعة الله تعالى؛ لأنها أمانة سترد إلى خالقها، فعلينا أن نتقي الله فيها، وأن نؤدي إلى الله زكاة الصحة والعافية، فالصحة هي الملك الخفي، والعافية مال مختزن.

٤- من أين استمد عروة هذا الصبر حتى أصبح بحق جبلاً من جبال الصبر؟ استمده من محيط الأسرة الكريمة؛ فهذه أمه رضي الله عنها صبرت على مقتل أخيه عبدالله بن الزبير بن العوام، الذي قتله الحجاج بن يوسف الثقفي ظلماً وهو لائذ ببيت الله الحرام، وقد كفَّنته وصلَّت عليه، ومن جاور أصحاب الهمة العالية حلق في سماء الجوزاء وعانق الثريا، ثم إنه رأى الثواب بعين اليقين في الدنيا، فحلاوة الثواب أنسته مرارة المصاب.

٥- حوار مع الأعضاء قبل المخاصمة يوم فصل القضاء، فعروة يعلم أنها أمانة فحفظها وخاطبها يوم ودعها قائلاً: «الله يعلم أني ما مشيت بك إلى معصية قط»، وهذا خير قبل أن يُصدم الإنسان بمخاصمتها ونطقها يوم القيامة؛ ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (فصلت).■

الهوامش

(١) بدائع الفوائد، ص٢١١.
(٢) المرجع السابق، ص٧٧٤.
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٤١).
(٤) المرجع السابق (٢/ ٢٩٢).
(٥) المرجع السابق (٤/ ٤٣٠).

العِشْرة بالمعروف أو التفريق بإحسان (2)
كيف أصل إلى قناعة شرعية بحتمية الطلاق؟

د. يحيى عثمان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء سابقاً
y3thman1@hotmail.com

عرضنا في الحلقة الماضية معاناة فتاة من والديها، بدءاً من خلافاتهما الزوجية، ومروراً بمأساة طلاقهما، وختاماً بتدمير ما تبقى منها بانتقام كل منهما من طليقه، بعد الطلاق، وكما وعدتكم، أيها القراء الكرام، بأنني سأتناول، بمشيئة الله، كيف أصل إلى قناعة شرعية بحتمية الطلاق، على أن أتناول كيفية الاتفاق على الطلاق بأقل الخسائر الممكنة في الحلقة القادمة.

أولاً: مفاهيم أساسية:

١- قناعة شرعية بحتمية الطلاق:

يجب التأكيد على أن الزوج عليه أن يبذل جل وكل الجهد لإصلاح زوجه، وأن يصبر عليه صبراً جميلاً للحفاظ على عش الزوجية والمحضن التربوي للأولاد، ولكن هناك ضوابط شرعية تؤدي إلى حتمية الطلاق، مثل: الصد عن أداء الشعائر، التعرض للوقوع في الكبائر، أذى نفسي أو بدني فوق الطاقة.

٢- مفهوم العلاقة الزوجية:

الزواج ميثاق غليظ؛ حيث إن الشريعة الغراء؛ قرآناً وسُنة، أولت الأسرة المسلمة أهمية خاصة واعتبرته ميثاقاً غليظاً؛ ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ (النساء: ٢١)، بدءاً من اختيار الزوج حتى ما بعد الطلاق.

إن المسلم يتعبد لله تعالى في كل حياته بما فيها من زواج وطلاق؛ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢)؛ لذا فإن هذا الميثاق الغليظ الذي عُقد بضوابط شرعية، يجب إلا يُحل أيضاً إلا بضوابطه الشرعية.

٣- الحكمة من مشروعية الطلاق:

إن الله الذي خلق يعلم بكنه خلقه، وشرع لهم بحكمته ما تستقيم به حياتهم لطفاً بهم؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤)، فكما أن شرع الزواج نعمة جليلة؛ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١)، كذلك فإن أيضاً شرع الطلاق نعمة جليلة، ولكن يجب ألا يكون ذلك لهوى أو انتقام، ولكن لأسباب شرعية حيث تستحيل العِشْرة الزوجية بمعروف، وحفاظاً على النفس من الآلام العضوية أو المعنوية، أو مخافة الانزلاق في خطوات الشيطان.

٤- المسؤولية عن الطلاق:

من واقع ما عُرض عليَّ من استشارات

زوجية، سواء ما وفقني الله لحلها وإعادة العلاقة الزوجية إلى مسارها الطبيعي، أو ما شاء الله وانتهت بالطلاق، فإني أؤكد أن كلاً من الزوجين يتحمل قدراً ما من مسؤولية ما آلت إليه علاقته بزوجه من خلافات.

إن كثيراً من الأزواج يندم بعد معايشته للطلاق وآثاره، يلوم نفسه لأنه كان يمكنه أن يبذل ويصلح من نفسه وزوجه بما يخفف من معاناته؛ لأنها كانت أقل بكثير من الآثار السلبية التي جناها من الطلاق عليه وعلى أولاده.

ثانياً: أسباب الطلاق:

من لم يخطط لبناء بيت تسوده المودة والرحمة؛ فقد خطط لبيت يسوده الشقاق؛ ومن ثم فقط خطط للطلاق.

١- الجهل بمقومات الحياة الزوجية:

أ- جهل شرعي بواجبات وحقوق الزوج على زوجه: من مقومات المودة والرحمة أن يعرف الزوج حق زوجه ويزيد بالفضل عليه، وأن يقبل بما تيسر ويقدر عليه زوجه، وأن يعفو عما تعسر ولم يقدر عليه.

ب- جهل بأسباب المودة والرحمة: إن المودة والرحمة ليست هبة ولا جينات ونمط شخصية، ولكنها توفيق من الله لزوجين أخلصا النية لله، وتعاهدا على بناء بيتهما بتنمية معارفهما ومهاراتهما وقدراتهما الزوجية، واتبعا نهجاً شاملاً ومتكاملاً للمودة والرحمة يناسبهما.

٢- طبيعة ونمط الشخصية:

قد يؤدي الاختلاف البين لطبيعة ونمط شخصية كل من الزوجين إلى عدم القدرة على التكيف والتكامل والتناغم بينهما، ولكن قد يكون ذلك مقبولاً في فترة الخطبة أو العقد وما قبل البناء أو في الشهور الأولى من الزواج، ولكن بعد عدة سنوات من الزواج وعدد من الأولاد يأتي أحدهما طالباً الطلاق لأن طبيعة كل منهما ونمط شخصيته مختلفة عن الآخر، فهذا هراء! ألم يتبين لك ذلك خلال فترة الخطبة، وما تلاها من مراحل، قبل أن يهبكما الله الأولاد؟ وما ذنبهم أنك لم تكتشف هذا الكشف العظيم إلا بعدما مرت كل هذه السنوات وأتوا إلى الدنيا؟ ما ذنب أولادك إن كنت في غفلة أو تغافلت فلم تكتشف استحالة استمرار الحياة مع زوجك طوال هذه السنوات؟

إن قرار الطلاق لا يتعلق فقط بالزوجين، ولكنه يمس بالدرجة الأولى أولادهما؛ لما يترتب عليه من آثار سلبية عليهم، نعم قد تسبب الخلافات الزوجية آثاراً سلبية على الأولاد، بحيث يكون الانفصال الأقل ضرراً لهم، ولكن لماذا لم يعالج ذلك بالحكمة في بداية مراحل الزواج مهتدين بالآية الكريمة: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة: ٢٢٩)، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ (النساء: ٣٥).

ثالثاً: كيف أتخذ القرار (استمرار الحياة الزوجية/ الطلاق):

١- التهيئة الروحية والنفسية والعقلية والبدنية:

صلِّ وتصدق بما تيسر لك، وادعُ الله واجتهد بالدعاء.

- علاقتك بالله: فقد يكون خلافك مع زوجك نتيجة ذنب؛ مال حرام، علاقات غير شرعية، سوء خلق، أو تقصير في عبادة، ورد عن بعض السلف: «إني لأجد أثر معصيتي في خلق زوجتي وعقوق دابتي»؛ لذا راجع علاقتك بالله واجتهد وزد في تقواك لله قبل أن تقيم علاقتك بزوجك.

- حالتك النفسية: من الطبيعي أن تتأثر حالتنا النفسية بما نواجهه من مشكلات أو تحديات، وإن لم نسرع بحلها أو نعوّد أنفسنا على تركها جانباً إلى أن تُحل؛ ستؤثر علينا سلباً، كما أؤكد أنه يجب العزل الكامل لأي مشكلات يواجهها أي من الزوجين خارج نطاق الأسرة عن علاقاتهما، كما أن على الزوج أن يقدر أن زوجه لديه مشكلات ويعاونه في حلها إن أمكنه ذلك، ويكون سنداً ودعماً له، أيضاً علاقتك بزوجك يجب أن تكون مستقرة؛ بمعنى لا يمكن أن تقيّم زوجك بعد مشادة أو انفعال، لذا يجب قبل تقييم علاقتك بزوجك أن تكون حالتك النفسية طبيعية.

- حالتك العقلية والبدنية: إن طموحات الإنسان يجب أن تكون مناسبة لقدراته وضمن باقي مسؤولياته العبادية والعائلية، فالبعض يضع طموحات تفوق قدراته، وقد يحقق أحلامه بعد أن يكون قد قصر في حق الله وحق زوجه وأولاده، بل وحق نفسه.

إن الحياة المتوازنة تحافظ بفضل الله على قدرات الإنسان العقلية والنفسية والبدنية، وتجعله قادراً على تقدير الأمور واتخاذ القرارات الرشيدة؛ لذا يجب قبل أن تقييم علاقتك بزوجك تأكد بأن حالتك العقلية سليمة ولا تعاني من أي تشتت أو قصور.

٢- تقييم علاقاتي بزوجي:

تحديد العناصر المؤثرة في علاقتك بزوجك: مدى الالتزام الديني، العاطفة، الحميمية، المالية، الأمان النفسي، القيام بمسؤولياته، التواصل الثقافي، نمط الشخصية، التوافق النفسي، تربية الأولاد... رتبها حسب الأهمية النسبية لك.

على الزوج أن يبذل الجهد لإصلاح زوجه وأن يصبر عليه للحفاظ على عش الزوجية

كلا الزوجين يتحمل قدراً ما من مسؤولية ما آلت إليه علاقته بزوجه من خلافات

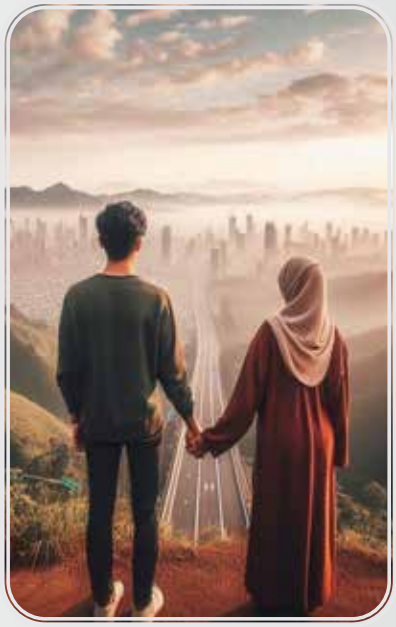

إذا أخلص الزوج النية لله في زواجه وصبر على نقصه فقد بشره الله بأجر بغير حساب

٣- اعمل هذه المجموعات:

أ- مجموعة الإيجابيات الزوجية: رتب مزايا زوجك.

ب- مجموعة السلبيات الزوجية: رتب سلبيات زوجك.

جـ- مجموعة الإيجابيات التربوية: رتب مزايا زوجك التربوية.

د- مجموعة السلبيات التربوية: رتب سلبيات زوجك التربوية.

٤- تناول خصائص كل سلبية:

- جهل، نمط وطبيعة شخصيته، عادة وثقافة، تعمد.
- طارئ، منذ الخطوبة.
- دائم، عارض، رد فعل لخطأ مني.
- الآثار السلبية: يمكن معالجتها، كارثية.
- ما الأعذار التي يمكن أن أبرر بها لهذه السلبيات؟

قد يؤدي اختلاف طبيعة شخصية كل من الزوجين إلى عدم التكيف والانسجام بينهما

- هل أعلمته بهذه السلبيات بطريقة طيبة.
- هل يحاول زوجي تعديل سلبياته؟

قدر معدل رضاك عن مجموعة العلاقات ذات الأهمية القصوى بالنسبة لك، وكذلك العلاقات الأقل أهمية، مع ملاحظة قيمة الأهمية النسبية لكل علاقة داخل المجموعة، بمعنى أنه إذا كانت العلاقة العاطفية ذا أهمية أعلى من العلاقة المالية، وهي تحقق رضا تاماً في حين أن العلاقة المالية بها قصور، فإن الرضا عن العلاقة العاطفية يجبر القصور في العلاقة المالية، هذا ليس معناه ألا أبذل بالحكمة والموعظة الحسنة في سبيل إصلاح خلل العلاقة المالية.

أهمية تحليل عناصر تقييم الزوج: من واقع ما يرد إلينا من استشارات، قد يأتي الزوج وهو في قيمة السخط على زوجه وعزم على الطلاق، ولكن بسؤاله عن تقييم كل علاقة من علاقاته بزوجته، يتبين أن هناك العديد من العلاقات الناجحة وعلاقة واحدة سيئة! ولكن شيطانه ركز على قصوره وطمس نِعَم الله عليه الأخرى التي يتحلى بها زوجه، ويؤيد هذا المعنى ما ورد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَفرَكْ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر» (رواه مسلم).

الصبر على أذى الزوج المحتمل: يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا

قرار الطلاق لا يتعلق فقط بالزوجين ولكنه يمس أولادهما لما يترتب عليه من آثار سلبية

حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، إذا ما أخلص الزوج النية لله في زواجه وصبر صبراً جميلاً على نقصه، فقد بشره الله بأجر بغير حساب.

إن الصبر الجميل ليس به ضجر ولا سخط، ولكن فيه حسن توجيه ومساعدة الزوج على معالجة قصوره دون احتقار أو انتقاص من قدره، بل استثارة دوافعه نحو تزكية نفسه وتنمية قدراته.

قد يجد الزوج بعد هذا التقييم أن سلبيات زوجه تفوق إيجابياته؛ لذا أرى أن يقيم حالة الاستمرار مع حالة الطلاق كما يلي:

- إيجابيات الاستمرار عليَّ كزوج.
- سلبيات الاستمرار عليَّ كزوج.
- إيجابيات الاستمرار على الأولاد.
- سلبيات الاستمرار على الأولاد
- إيجابيات الطلاق عليَّ كزوج.
- سلبيات الطلاق عليَّ كزوج.
- إيجابيات الطلاق على الأولاد.
- سلبيات الطلاق على الأولاد.

وقد يجد أن رغم كل سلبيات زوجه، فإنه من الأفضل الاستمرار.

- فإن رجحت كفة الطلاق فأنصح بالانفصال دون طلاق لمدة من ٣ - ٦ أشهر، يغادر الزوج المنزل ويرتب مع زوجته كافة الأمور وكأنهما مطلقان، ثم يقيم كل منهما بعد معايشته الحياة كمطلق، فقد يستشعر قيمة زوجه ويعودان، ولكن بنية التعلم كيف يحيا وزوجه في مودة ورحمة، وإن قرر الطلاق فسنتناول في الحلقة القادمة كيفية ذلك.■

المقـوِّم الأســاس فــي الحضــارة الإنسانيــة

أ. د. زيد بن محمد الرمانــي

الأخلاق ركنٌ مهم في حياة الفرد والمجتمع، وهي مقوِّم أساس في الحضارة الإنسانية، باعتبارها تدخل ضمن البنية الاجتماعية، وأخلاق الفرد تتبادل التأثر والتأثير مع أخلاق المجتمع.

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الهدف الأعظم من رسالته وبعثته إتمام مكارم الأخلاق فقال: «إنما بعثت لأُتمم حُسْن الأخلاق»، وعدّ البرّ مجمع الفضائل كلها، فقد سأله صلى الله عليه وسلم النوّاس بن سمعان رضي الله عنه عن البرّ، فقال، «البِّر حُسْن الخلق»، وأحكم الصِّلة القويمة التي ينبغي أن تربط بين الأفراد بعضهم مع بعض، والعلاقة الفاضلة التي تصل بين الفرد والآخرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وخالق الناس بخلق حسن».

الأخلاق والعقيدة صنوان في الإسلام، فقد ربط القرآن بينهما، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ (المدثر)، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يكون ليناً، رفيقاً بأمته، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٥)؛ ولذا كانت دعوته صلى الله عليه وسلم إلى فضائل الأخلاق دعوة زاكية، فقد سُئل رسول الله: من أحبّ عباد الله تعالى؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحسنهم خلقاً».

والغاية التي يرشد إليها الإسلام من الالتزام بالسلوك الأخلاقي كما في نصوص القرآن الكريم والسُّنة المطهرة تقوم على عنصرين:

الأول: اكتساب مرضاة الله عزّ وجلّ وابتغاء ثوابه وعطائه حبّاً ورضاً، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتُغي به وجهه».

الثاني: تحقيق السعادة في الدارين؛ الدنيا والآخرة، والنجاة من الشقاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ (الانفطار: ١٣).

وإليك أخي الطالب بعض أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن، والذي كان يقول: «خياركم أحاسنكم أخلاقاً»، وعن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي عشر سنين، والله ما قال لي: أفٍ قط، ولا قال لشيء لمَ فعلت كذا؟ وهلاّ فعلت كذا؟ وتقول عائشة رضي الله عنها: «ما خُيِّر رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، وما ضرب رسول الله شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً»؛ ولذلك أمر الله المسلمين بأن يقتدوا به صلى الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١).

إن من العسير أن يحيط إنسان بالقيم الأخلاقية الإسلامية في القرآن والسُّنة وتاريخ الفكر الإسلامي؛ ذلك أن الأخلاق في الإسلام تقوم على قاعدة الإيثار وترفض الأثرة، وتحضّ على الجماعية في الغايات، وتحارب الأنانية، وتدعو إلى تزكية النفس بالفضائل، والسلوك الحسن، وتنذر من تشويه النفوس بالهوى والشهوة.

وعلى قاعدة التآخي أسّس النبي صلى الله عليه وسلم روابط جماعته الأولى في المدينة المنورة، يوم اقتسم الأنصار والمهاجرون كل ما يملك الأنصار وتآخوا في الله أخوين أخوين، روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، عند مؤاخاة عبدالرحمن بن عوف، سعد بن الربيع الأنصاري، رضي الله عنهما، وكان ذا غنى، قول ابن الربيع، لعبدالرحمن: أقاسمك مالي نصفين وأزوجك، قال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق.

لقد عرفهم الله تعالى أن الأخوة نعمة من الله جاءت تشد أواصر الصلة بين المسلمين بعد طول عهد التنازع والاقتتال، ولقد جاء الخطاب الإلهي لهم: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ ((آل عمران: ١٠٣).

إن للأخلاق قيمة لا يدانيها شيء آخر في التشريع الإسلامي، لأنها تحقّق الصلاح والرحمة والتآخي والمحبة وشتى أنواع الفضائل، وتلغي الفساد والظلم والتباغض والكراهية وشتى أنواع الرذائل.■

للتواصل:
ZROMMANY3@GMAIL.COM

البلطاجون !!
US Department of Defense Pentagon

محكمة (العدل) الدولية !
الفيتو
الأمريكي
INTERNATIONAL COURT OF JUSTICE
INTERNATIONAL COURT OF JUSTICE

20

أهلنا ما نخليهم

جمعية التكافل
لرعاية السجناء
الأقربون أولى بالمعروف

عشرون عاماً من العطاء

الغارمين

عدد الحالات	المبلغ
18,000 ألف حالة	13 مليون

أسر السجناء

عدد الحالات	المبلغ
15,000 ألف حالة	3,2 مليون

أرقام الحسابات البنكية: بيت التمويل الكويتي 011140010577- البنك الوطني 1000314577- بنك بوبيان777619001

24834414 94064086 @Takaful.Association
www.altkaful.com @altakaful

ج و / ت ح د 2 / 2024

نماء الخيرية
NAMAA CHARITY

شعيرتكم سعادتهم

1445 هـ - 2024 م

سعر سهم الأضحية بقر غنم

بنين، تشاد — 18 د.ك	الصومال، تنزانيا — 23 د.ك	مالي، النيجر — 24 د.ك
سريلانكا، كمبوديا، السنغال، غانا، ساحل العاج — 28 د.ك	اليمن، إندونيسيا، بنغلاديش — 36 د.ك	موريتانيا — 60 د.ك
لبنان، الأردن، تونس — 88 د.ك	تركيا الداخل السوري — 105 د.ك	فلسطين — 117 د.ك

خارج الكويت ابتداءً من

10 د.ك

الهند 1

1888833
www.namaakw.net

رقم الترخيص (ج / ضد / ٢٠٢٤م) يمنع الجمع النقدي